الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم: العلوم الإنسانية

الحركة العلمية المغربية من خلال كتاب رحلة ابن خلدون

مـــذكرة مـــكملة تدخل ضمن متطلبات لنـــيل شهادة المـــاستـــر
في التاريخ تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

من إعداد الطالبتين :

بن لاشهب أمال
هيشر وداد

إشراف الأستاذ :
علي شعوة

لجنة المناقشة :

الأستاذ	الرتبة	الصفة	المؤسسة الأصلية
د_ بن عمر علال	أستاذ محاضر_أ_	مناقش 1	جامعة الشهيد حمه لخضر_الوادي_
أ_ شعوة علي	أستاذ محاضر_ب_	مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر_الوادي_
أ_ العابد عبد الحميد	أستاذ مساعد_أ_	مناقش 2	جامعة الشهيد حمه لخضر_الوادي_

الجامعية: 1442-1443ه/ 2020- 2021م

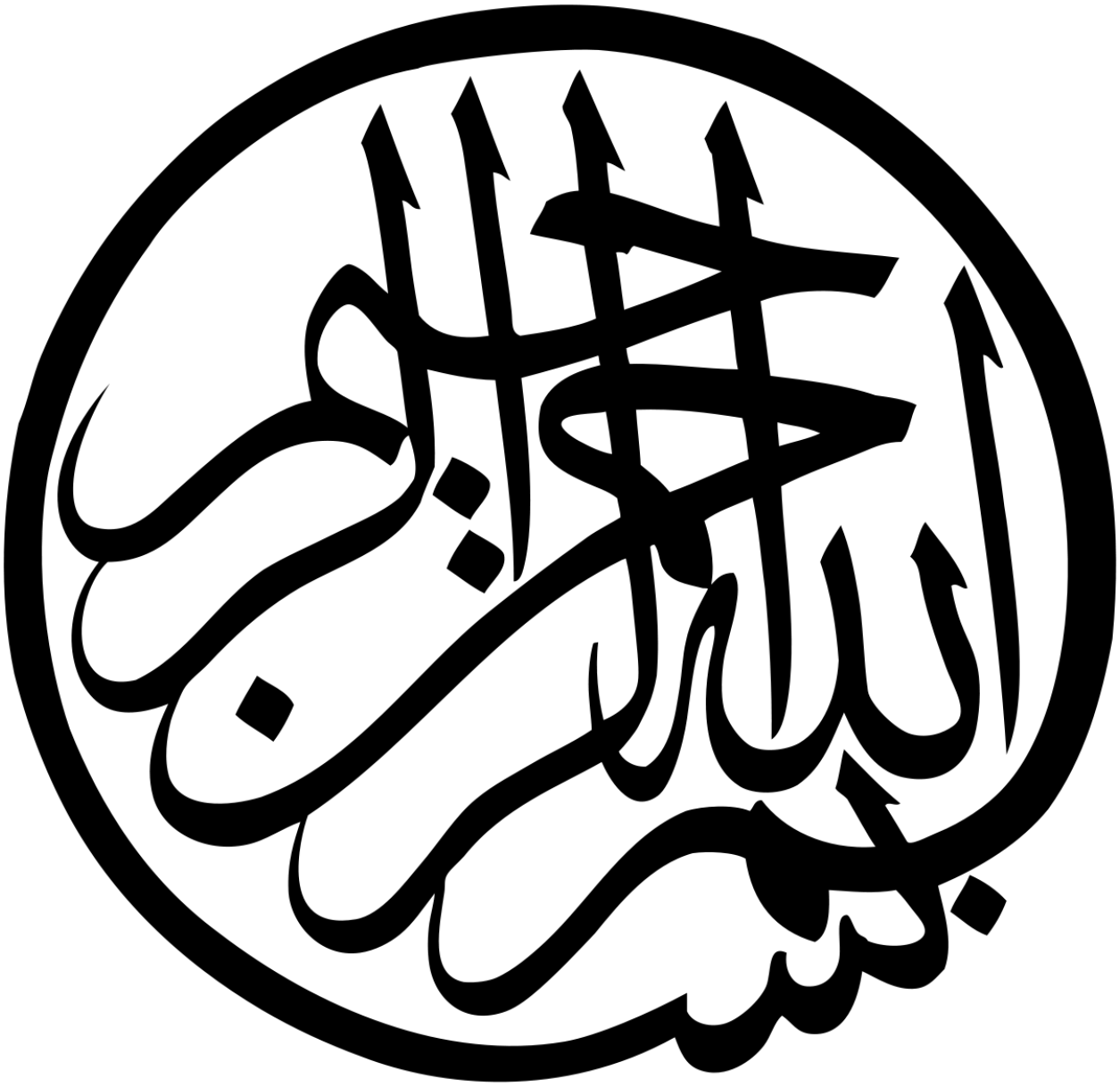
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد ..

فإني أشكر الله تعالى على فضله حيث أتاح لي إنجاز هذا العمل بفضله، فله الحمد أولاً وأخيراً.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال - صلى الله عليه وسلم:- ((مَن لا يَشكُر الناس، لا يَشكُر الله)) لذلك نتقدم بجزيل الشكر للأستاذ المشرف علي شعوة على كل ما قدمه لنا من توجيهات ومعلومات قيمة ساهمت في إثراء موضوع دراستنا في جوانبها المختلفة.

كما أشكر صديقتي التي ساعدتني كثيرا في تنسيق هذا العمل : بثينة .

كما لا يفوتنا أن نتقدم بجزيل الشكر لكل أساتذة العلوم الإنسانية قسم التاريخ على كل ما بذلوه من جهد خلال مشوارنا الجامعي ولم يبخلوا علينا بأي معلومة والشكر موصولا مسبقا إلى أعضاء لجنة المناقشة كما نشكر كل من ساعدنا من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل المتواضع .

إهداء :

وجد الإنسان على وجه البسيطة ولم يعش بمعزل عن باقي البشر، وفي جميع مراحل الحياة يوجد أناس يستحقون منا الشكر لهذا *أهدي هذا العمل المتواضع :*

إلى سبب وجودي في الحياة صاحب السواعد المكافحة " والدي حفظه الله "

إلى نبع الحب ومن علمتني الصمود مهما تبدلت الظروف " أمي "

إلى من أظهروا لي ما هو أحلى من الحياة إخوتي حفظهم الله : صبرين ، فطيمة ، أحمد نجيب

إلى أولاد أختي : تسنيم ، محمد ، إسلام .

إلى الروح الغالية التي فارقتنا يوما وأحزننا رحيلها : أخي محمد الطاهر رحمه الله .

إلى من كانت نصفي الثاني و رفيقة دربي في الشدائد الأخت التي لم تلدها أمي : رندة.

إلى من كانوا رفقاء الدرب ومن كانوا يحلون مرارة الأيام صديقاتي الغاليات : هانية –منار- سمر – زينب –سعدة – أية – كريمة- حبيبة–خضرة- فايزة – كنزة – ناريمان-رانيا –حياة – هجيرة-ربيعة-سناء-نسيبة- إنصار .

إلى صديقتي التي قاسمتني عناء هذا العمل : أمال .

هيثر وداد

قائمة المختصرات :

الرمز :	**مدلوله :**
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تق	تقديم
ج	جزء
د س	دون سنة
د ط	دون طبعة
ص	صفحة
ص ص	صفحتين متتاليتين
ط	الطبعة
ع	العدد
مج	مجلد
م	ميلادي
ه	هجري

مقدمـــــــــــــة

مـــقـــدمـــــــــــــــــــــــــــــــة :

تطورت الحركة الفكرية في العهد الحفصي لتشتمل مختلف المجالات ، هذا ما أدى إلى ظهور شخصيات بارزة في حياة مجتمعاتها ومواقف مشرفة كتبت أسماءها عبر صفحات التاريخ بحروف من ذهب ومن هاته الشخصيات عبد الرحمان ابن خلدون . يعتبر عبد الرحمان ابن خلدون من الشخصيات الإسلامية الفذة في العصور الوسيطة ، فهو يمثل نقطة تحول في كتابة التاريخ الإنساني، حيث كانت شخصيته ولا تزال جذابة بكل جوانبها ، خاصة في الجانبين الفكري الثقافي والجانب السياسي وتتميز نظرياته على الغالب بأنها صالحة لكل زمان ومكان لأنها مستقاة من القرآن والأحاديث النبوية الشريفة ، فجاءت دراستنا لهذا العلامة الذي ذاع صيته في المجال العلمي من خلال إسهاماته وتفانيه في خدمة العلم والآثار العلمية التي تركها .

طرح الإشكالية :

بنينا دراستنا على هذه الإشكالية :

فيما تمثلت الحركة العلمية من خلال كتاب رحلة ابن خلدون ؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية عدة تساؤلات فرعية :

- من هو عبد الرحمان ابن خلدون ؟
- كيف كانت نشأته ؟
- ما هي الرحلات التي قام بها ؟

دواعي اختيار الموضوع :

يرجع اختيارنا لهذا الموضوع دون غيره لعدة أسباب من بينها:

- الرغبة الملحة في التعرف على هذه الشخصية .

- هذه الشخصية جمعت بين العلم السياسة خلال مسيرة حياتها ، محاولين توظيف بعض المعلومات وشرحها .

- إبراز قيمة ومكانة هذه الشخصية والتعرف على مختلف مراحل حياتها وإبراز مؤلفاتها .

- التعرف على أهم الرحلات والمناصب التي تولاها عبد الرحمان ابن خلدون في مختلف البلدان التي زارها .

- إثراء المكتبة بمثل هذه المواضيع .

الإطار الزماني و المكاني :

تنحصر دراستنا منذ ولادة عبد الرحمان ابن خلدون سنة 732 ه إلى غاية وفاته 808 ه.
أما المكان فيتمثل في كل بلد ارتحل إليها الشخصية (المغرب الأقصى _ الأندلس _بجاية _مصر)

المنهج المتبع :

اعتمدنا على المنهج التاريخي في جمع المادة العلمية الموجودة في المصادر والمراجع المناسبة للدراسة التاريخية وصفا وتحليلا.

الدراسات السابقة :

لم تتوفر دراسات سابقة متخصصة عن موضوع الحركة العلمية من خلال كتاب رحلة ابن خلدون ما عدى بعض الدراسات التي تناولت أجزاء منها نذكر منها :

- مذكرة النشاط السياسي والعلمي لابن خلدون في بلاد المغرب ومصر (732ه-808ه/1332م -1406م) من إعداد الطالبين الزاوي محبوب و لجدل علي عبد الرحمان لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الوسيط والحديث .

- مذكرة البعد الحضاري في فكر ابن خلدون من إعداد الطالبتين غماري أمال و عمرون فتيحة، وهي مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في قسم اللغة و الأدب العربي في جامعة تلمسان.

- مذكرة ابن خلدون ناقدا من إعداد الطالب بندر رفيد العنزي، وهي رسالة مقدمة للحصول على درجة ماجستير في اللغة العربية و آدابها بجامعة الشرق الأوسط ، بمصر.

تقسيمات الدراسة :

ولمعالجة الإشكالية الرئيسية والتساؤلات الفرعية ارتأينا إتباع الخطة المكونة من مقدمة ، فصل تمهيدي ، وفصلين وخاتمة ، وهي كالآتي :

مقدمة : تناولنا فيها تمهيد عام للموضوع وأهميته،وأسباب اختياره ،وطرح الإشكالية الرئيسية والتساؤلات الفرعية التي سنجيب عنها من خلال هذه الدراسة،وحدود الدراسة المكانية، والمنهج المتبع،ومحتوى الدراسة،ثم عرض لأبرز المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها مع ذكر الصعوبات التي واجهتنا.

فصل تمهيدي : ضم الأوضاع العامة ببلاد المغرب في عصر ابن خلدون ، و يضم ثلاث عناصر : الأول الحياة السياسية ببلاد المغرب في عصر ابن خلدون ، الثاني الحياة الاقتصادية والاجتماعية ببلاد المغرب في عصر ابن خلدون ، والثالث الحياة الثقافية والفكرية ببلاد المغرب في عصر ابن خلدون .

الفصل الأول : خصصناه نبذة عن حياة ابن خلدون ، حيث احتوى على خمسة عناصر الأول نسب ابن خلدون ، الثاني مولده نشأته ، والثالث شيوخ ابن خلدون ، الرابع تلاميذ ابن خلدون ، الخامس مؤلفاته .

الفصل الثاني : تناولنا فيه رحلات ابن خلدون ، و احتوى على خمسة عناصر ، الأول الرحلة إلى المغرب الأقصى ، الثاني الرحلة إلى الأندلس ، الثالث الرحلة من الأندلس إلى بجاية ، رابعا العودة للمغرب الأقصى ثم إلى الأندلس ، خامسا الرحلة إلى المشرق وتوليه القضاة في مصر.

خاتمة : وأنهينا الدراسة بخاتمة تضمنت مجموعة من الاستنتاجات المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة :

أ- المصادر :

- **كتاب التعريف بابن خلدون ورحلته غربا و شرقا**، لعبد الرحمن ابن خلدون و الذي ذكر فيه نسبه وسيرته وما يتصل به من أحداث زمنية، وهو جزء لمؤلفه الضخم كتاب العبر . وقد أفادنا كثيرا في دراستنا للموضوع .

- **معجم البلدان** ، لياقوت الحموي بأجزائه 7 ، الذي وفر لنا معلومات عن المدن المذكورة في الدراسة .

- **رحلة ابن بطوطة ، لابن بطوطة** الذي ساعدنا في معرفة الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي كانت سائدة ببلاد المغرب في عصر ابن خلدون .

ب- المراجع :

كتاب عبقريات ابن خلدون ، لعلي عبد الواحد وافي ، من أهم المراجع المعتمد عليها في هذه الدراسة وقد أفادنا بمعلومات مفصلة، حول شخصية عبد الرحمن ابن خلدون من والدته إلى وفاته .

- **كتاب حياة ابن خلدون ومثل من فلسفته الاجتماعية** ، لمحمد الخضر حسين الذي ساعدنا في معرفة الأحداث التي أصابت ابن خلدون أثناء رحلاته والمناصب التي تولاها .

- **كتاب ابن خلدون حياته و تراثه الفكري** ، لمحمد عبد الله عنان ، وقد استفدنا منه في الجانب العلمي كما أحالنا إلى المصادر التي تخدم الموضوع.

الصعوبات :

وقد واجهتنا في دراسة هذا البحث جملة من الصعوبات،حيث لا تخلو كل دراسة من الصعوبات ومنها:

- تشعب موضوع الدراسة باعتبار أن الشخصية لها دور بارز في التاريخ الإسلامي وكل عنصر منها يمكن أن يكون عنوان بحث .

- تعدد المصادر والمراجع واختلافها في المعلومات ما أدى إلى صعوبة التحكم في المادة العلمية .

عدم المقدرة على تعريف بعض الشخصيات لما يحتويه هذا الموضوع منها .

فصل تمهيدي : الأوضاع العامة ببلاد المغرب في عصر ابن خلدون .

1/ الحياة السياسية ببلاد المغرب في عصر ابن خلدون .

2/ الحياة الاقتصادية والاجتماعية ببلاد المغرب في عصر ابن خلدون.

3/ الحياة الثقافية والفكرية ببلاد المغرب في عصر ابن خلدون .

1/ الحياة السياسية ببلاد المغرب في عصر ابن خلدون :

لقد كان المناخ السياسي في المغرب مضطربا لدرجة كبير ، بلغ تفكك العالم الإسلامي فيه مبلغه بين دويلات منقسمة بعد أن كانت دولة الموحدين [1] قد سقطت عام 667هـ/ 1268 في المغرب و الأندلس في منتصف القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي وانقسم المغرب إلى دويلات صغيرة ومن أهم هذه الدويلات [2] :

-**الخلافة الحفصية** في تونس[3] (625-941هـ/1228-1534م) التي امتدت من طرابلس ، إلى بجاية [4] في المغرب الأوسط ، وكان أمير الدولة عند مرور ابن بطوطة فيها عام 725هـ/ 1324م أبا يحيى أبا بكر الثاني المتوكل على الله 718-747هـ/1318 -1346م، ثم خضعت تونس بعد ذلك لبني مرين لفترة قصيرة، إثر السيطرة عليها من قبل السلطان أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني (731-750هـ/1331-1348م)، .الذي كان يسعى لتوحيد بلاد المغرب العربي. وقد كان هذا السلطان موجودا في تونس [5].

–**إمارة بني زيان** وكانت مسيطرة على الجزء الغربي من المغرب الأوسط، ، من نهر الملوية، إلى مدينة وهران [6].

واستمرت تحكم هذه المنطقة بين عامي (633-924هـ/1236-1518م). ولكن هذه الإمارة كانت واقعة بني أطماع بني حفص في تونس، وبني مرين في المغرب الأقصى، وكان لا بد له من الكفاح لمقاومة هاتين الإمارتين [7].

---

[1] تأسست هذه الدولة رسميا(541ه-1142م) على يد المهدي بن تومرت، في شكل دعوة دينية و فكرة روحية إصلاحية ، وتطورت إلى كيان سياسي، إلى أن بسطت نفوذها على كامل بلاد المغرب الإسلامي و الأندلس، وسقطت سنة 668ه .**انظر:** أبو بكر الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت، تح عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر،1974 ، ص193.

[2] علي محمد الصلابي ، دولة الموحدين ، دار البيارق للنشر ، عمان ، د ط ، د ت ، ص ص 315-335.

[3] تونس: تمثل تونس القسم الشرقي من الغرب العربي الواقع في شمال قارة إفريقية، يحدها من الغرب الجزائر ومن الجنوب الشرقي ليبيا ومن الجنوب الغربي الصحراء، وتربطها بالجزائر سلسلة جبال الأطلس وتبلغ مساحة تونس 125180كيلو متر مربع، وتوجد في تونس مدن كثيرة وبخاصة في الشمال وعلى السواحل وفي الجنوب وأهم هذه المدن "تونس، القيروان وصفاقس وسوسة وبنزرت وقابس والمهدية والقلعة الكبرى وباجة والكفاف"، وكان يسكن تونس في القديم العنصر البربري الذي لا يعرف عنه التاريخ إلا القليل.**ينظر**:د الحبيب تامر:هذه تونس، مطبعة الرسالة، د ط، د س، ص ص1-7.

[4] تقع مدينة بجاية على الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط في شمال شرق المغرب الأوسط على خط طول 2درجة و45دقيقة شرقا وعلى دائرة عرض 36درجة و45دقيقة شمالا، بنيت هذه المدينة على شكل مدرج فوق منحدرات وسفح جبل أمسيون(أومسيون) الشاهق (غوريا حاليا)، وتشغل بجاية مساحة على شكل مثلث قاعدته البحر وتطل على خليج يمتد من رأس كربون إلى رأس بواك وبه يوجد ميناؤها الذي يتمتع بحماية طبيعية. **ينظر**: محمد بن عميرة ولطيفة بشاري بن عميرة:تاريخ بجاية في ظل مختلف الأنظمة السياسية من عهد القرطاجيين إلى عهد الأتراك العثمانيين، دار الفاروق للنشر والتوزيع، ط1، 1436هـ/2015م،ص 15-16.

[5] أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة ، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروف برحلة ابن بطوطة ، تح عبد الهادي التازي ، مطبوعات الأكاديمية المغربية ، الرباط ، ج 1، ص 186-187.

[6] تقع ولاية وهران في غرب البلاد الجزائرية وتنحصر بين وتمتد من شرق مدينة الشلف (الأصنام سابقا) شرقا إلى الحدود المغربية غربا وإلى أقاصي الصحراء جنوبا، وعام 1975م بعد إعادة الاستقلال الوطني تقلصت مساحتها كثيرا وفصلت عنها مناطق واسعة و أصبحت حاليا تتألف من ثلاثة دوائر صغيرة هي دائرة وهران في الوسط، دائرة أرزيو في الشرق ودائرة المرسى الكبير في الغرب، وينتمي سكنها القدماء إلى عدد من فروع قبيلتي مغراوة و نفزاوة البربريتين. ينظر: يحيى بوعزيز:مدينة وهران عبر التاريخ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2009م، ص19-22.

[7] سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، المعارف بالإسكندرية ، 1993 ، ج 1 ، ص 32-33.

-**الدولة المرينية** (957-591ه / 1195-1550م) وكانت تحكم المغرب الأقصى، وبنو مرين فخذ من زناتة [1]، وعلى الرغم من الخلافات والحروب والمكائد التي حكمت العلاقة بين ساسة و حكام العالم الإسلامي في ذلك العصر - خاصة إمارات المغرب العربي - فقد ظلت الأمة الإسلامية نفسها بشعوبها المختلفة وحدة متماسكة و مترابطة [2].

وقد تواترت في رحلات الرحالة في تلك الفترة الإشارة إلى الصراعات السياسية بين الإمارات المتنازعة وجهود بعض الحكام لتوحيدها ،كما في رحلات (ابن الحاج النميري الذي أبدى اهتماما خاصا بالوضع السياسي خاصة أنه رافق السلطان (أبا عنان) [3] في رحلته إلى قسنطينة[4] و الزاب، التي استهدفت توحيد كلمة المغرب الإسلامي تحت راية واحدة، وذلك بإخضاع المغربين -الأدنى والأوسط- لحكمه. فأشار (النميري) إلى جهود (أبي عنان) في هذا السبيل، وتوظيفه لقوات هائلة، برية وبحرية ، للوصول إلى غايته ، فحقق نصرا كبيرا، وفي إشارة أخرى لتصاعد الصراعات بين حكام الإمارات في منطقة المغرب[5] .

وبجانب الصراعات السياسية الناشئة بني حكام الإمارات وما أدت إليه من اضطراب سياسي، كان هناك أيضا مشكلة الصراعات القبلية التي نجمت عن ضعف السلطة السياسية وأدت إلى خروج العديد من القبائل عليها وممارستها لعمليات السلب والنهب. يذكر (ابن النميري) في رحلته أن جهود السلطان(أبي عنان) في إخضاع المغربين الأدنى والأوسط لحكمه اصطدمت بعقبة –كأداء- هي المعارضة الشديدة التي لقيها على يد أعراب الزاب، وأعراب إفريقية، بمختلف قبائلهم وبطونهم. وهذا هو أحد الأسباب الرئيسة لرحلته إلى النواحي الشرقية، حتى يخضع هؤلاء لسلطته ، ويقضي على فتنتهم وفسادهم وعبثهم بالسلطة. فضرب على أيدي أعراب إفريقية، وأخذ منهم الرهائن كضمان ولائهم ، وعدم تكرار فسادهم [6].لهذا لعبت هذه القبائل دورا سياسيا في استقرار بعض الإمارات أو التعجيل بانهيارها هذا ما لاحظناه من كلام ابن الخطيب في رحلته عن قبيلة هنتاتة المصمودية [7].

---

[1] أبي الوليد إسماعيل ابن الأحمر ، روضة النسرين في دولة بني مرين ، تح عبد الوهاب ابن منصور ، الرباط ، ط 2 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1991 ، ص 17 .

[2] حسين مؤنس ، ابن بطوطة ورحلاته ، دار المعارف ، القاهرة ، 1980، ص 22.

[3] السلطان أبي عنان المريني:هو أبو عنان فارس المتوكل على الله ابن أبي الحسن علي بن أبي سعيد عثمان وهو من أشهر ملوك بني مرين بالمغرب الأقصى ولد بفاس سنة 1329م، دامت فترة حكمه عشر سنوات (749هـ-759 هـ) وهو الملك الحادي عشر من ملوك بني مرين ولاه أبوه على تلمسان بعد أن استولى عليها سنة (737هـ)، اشتهر أبو عنان بحب العلوم والآداب واشتهر كذلك بولعه الشديد ببناء الزوايا حيث تميز عصره بكثرة الزوايا التي مازالت أثارها بادية في المغرب إلى يوما هذا، وكان أبو عنان فقيها يناظر العلماء عارفا بالمنطق وأصول الدين وله حظ صالح من علمي العربية والحساب وكان حافظا للقرآن الكريم .**ينظر**: ابن فرحون المالكي:الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح:مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص393.

[4] من مشاهير بلاد إفريقية، بين تيجس وميلة، وهي مدينة أولية كبيرة آهلة فيها آثار كثيرة وبين قسنطينة و بجاية ستة أيام. انظر: محمد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت، لبنان، ط 2 ،1980 ، ص 481.

[5] ابن الحاج النميري ، فيض العباب و إفاضة أقداح الآداب ، تح محمد ابن شقرون ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، 1990، ص ص 58 – 60.

[6] ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 164.

[7] و هي من قبائل الموحدين التي كانت تشكل قوة الحركة الموحدية، وكان أبو حفص عمر زعيما لهنتاتة، هنتاتة اسم جبل يطلق على أحد جبال الأطلس، كما يطلق على القبيلة المقيمة فيه وهي فرع من مصمودة ،انظر : تقي الدين المقريزي ، ددر العقود الفريدة في تراجم الأعيان ، تح محمد عثمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1971 ، ج 2 ، ص 218.

وزعيمها عامر بن محمد علي الهنتاتي [1].

وعن أهمية دور القبيلة في الحياة السياسية في المغرب الأقصى ، ولهذا كانت منازلها موضع رعاية وعناية من سلاطين دولة بني مرين. ونظرا لأهمية هذه القبيلة، فقد حرص ابن الخطيب على مخاطبة (عميد تلك البقعة) ، وشاه تلك الرقعة [2]، ليقوم بتوجيه الدعوة إليه لغرض زيارته ، بغية أن يكسب صداقة هذا الشيخ القوي ، فيجد في بلاده حمى و أمنا من الفتن والمخاوف التي كان يجتازها[3] .

كذلك تشير كتب الرحلة في تلك الفترة إلى ظلم واستبداد الحكام ونهبهم للمحكومين بدون أي رادع ، فعلى سبيل المثال وفي بجاية، التي كانت في ذلك العصر واجهة للإمارة الحفصية في تونس، لم يستطع (ابن بطوطة) أن يكتم انتقاده لأمريها (أبي عبد الله محمد بن سيد الناس الحاجب)، الذي انتزع مبلغ ثلاثة آلاف دينار، كانت وديعة عند أحد التجار ليوصلها إلى ورثة أحد أصدقائه في تونس . فعلق ابن بطوطة قائلا : "وهذا أول ما شاهدته من ظلم عمال الموحدين وولاتهم" اعتبار أن الإمارة الحفصية تعود بأصلها إلى ما قبل الانقسام إلى الدولة الموحدية [4].

وكان العالم الإسلامي خلال العصر الوسيط يعاني من أعداء صليبيين لاسيما في المغرب والأندلس ، حيث كثيرا ما لجأت الأندلس لاستصراخ إخوانها المغاربة للجهاد ضد المسيحيين ، إلا أنها في نفس الوقت كانت تتوجس خيفة من أطماع ملوك بني مرين في بلادها وتخشى أن يفعلوا معها مثل ما فعل الموحدون من قبل [5]. كذلك كانت غرناطة [6] حريصة على مصالحها المرتبطة مع جريانها المسيحيين أمثال قشتالة[7] وأراجون. ولهذا لم تلتزم في سياستها الخارجية جانبا واحدا من هذه القوى المحيطة بها، بل كانت تتغير وتتبدل في حرص وحذر حسب الظروف جانب الخارجية المحيطة بها، فتارة تقترب من قشتالة ضد المغرب، وتارة أخرى تقترب من المغرب ضد قشتالة وأراجون، وتارة ثالثة تتقرب من ملوك أراجون ضد ملوك قشتالة أو العكس وهكذا. فهذه السياسة الماهرة الماكرة التي سلكتها مملكة غرناطة مكنتها من الاحتفاظ باستقلالها مدة تزيد على قرنين من الزمان لأنها عرفت كيف تستفيد من الحزازات القائمة بين هذه الدول لصالحها. أما الجناح الشرقي للعالم الإسلامي فقد كان يتعرض لخطر هجمات التتار الذين احتك بهم ابن خلدون بنفسه ، الأمر الذي حرك سلطان مصر الملك

---

[1] لسان الدين أبي عبد الله محمد ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تح محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط2 ، 1973 ، 216.

[2] لسان الدين أبي عبد الله محمد ابن الخطيب ، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ، تح أحمد مختار العبادي ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، د ط ، د س ،ص ص 137-141 .

[3] حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، ط 2 ، 1986 ، ص 591.

[4] عبد الرحمان بدوي ، مؤلفات ابن خلدون ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، دار المعارف ، القاهرة ، 1962 ،ص 161.

[5] أحمد بن خالد السلاوي ، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، دار الكتب ، الدار البيضاء ، 1954، ص 24 .

[6] وهي أقدم مدن منطقة البيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها ، وبينها وبين البيرة أربعة فراسخ، وبينها وبين قرطبة ثلاثة وثلاثون فرسخا.انظر: الحموي، المصدر السابق،ج 4 ،ص195.

[7] إقليم عظيم بالأندلس قصبته اليوم طليطلة وجميعه اليوم بيد الإفرنج. انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق ، ج 4 ، ص352.

"الناصر فرج " لوقف الزحف التتري. وكان ذلك بتاريخ ربيع الأول 803ه /نوفمبر 1400م ،حيث قام ابن خلدون بدور السفير من أجل تطويق حركة التتر في المنطقة[1].

كانت تلك صورة الحالة السياسية للمجتمع الذي عاصره ابن خلدون التي حملتها كتب الرحالة المسلمين ، والتي لمسها بنفسه من خلال حياته المضطربة التي جاب فيها عالم الإسلام مزاولا في جميع ممالك الإسلام نشاطا سياسيا ملحوظا، إذ تولى أعلى المناصب في جميع تلك الممالك، وخبر خفايا سياستها وأطلع على دقائق أحوالها. وكان ذلك مما أكسبه معرفة دقيقة

بأحوال العالم الإسلامي كله، بل تجاوز ذلك إلى معرفة ما يحيط بهذا العالم، سواء على حدوده الغربية في أوروبا أم في حدوده الشرقية المتاخمة للإمبراطورية التترية[2].

وكان ابن خلدون دائم التأمل في أحوال ممالك الإسلام التي عايشها وعرفها من الداخل، وقد رأى كيف تتهاوى هذه الممالك في الغرب والشرق على السواء، هذا وإن لم تخل من فترات نهضة عابرة تشبه توهج الشمعة قبل انطفائها الأخير، والغريب أن هذه الظاهرة تكررت في معظم البلاد التي عاش فيها، فالأندلس في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري كانت تمر بفترة ازدهار لم تلبث مع بداية القرن التاسع أن أفضت إلى تدهور سريع، وهو ما شهده أيضا في دولة بني مرين في المغرب الأقصى، إذ أصاب الانحلال هذه الدولة بعد السلطان أبي الحسن المريني آخر ملوكهم العظام، ويتكرر المشهد نفسه في تونس بعد السلطان الحفصي الذي عاش في ظله، ثم في مصر التي كان الناصر محمد بن قلاوون هو آخر سلاطينها من المماليك العظام، وقد ظلت بقايا ازدهار الدولة ماثلة في أيام الظاهر برقوق[3]، ولكنها كانت انتفاضة عابرة لم تحل دون السقوط الذي أعقب وفاته. ومضت دولة المماليك في احتضار بطيء خلال القرن التاسع الهجري حتى الفتح العثماني [4].

---

[1] أحمد مختار العبادي ، صورة من حياة الحرب والجهاد في الأندلس ، منشأ المعرف الإسكندرية ، 2000، ص 234.

[2] إسماعيل سراج الدين ، ابن خلدون إنجاز فكري متجدد ، مكتبة الإسكندرية ، الإسكندرية ، مصر ، 2008 ، ص 31 .

[3] هو أبو سعيد برقوق ابن نس، ويعرف ببرقوق العثماني نسبة إلى فخر الدين عثمان بن مسافر، تولى الملك في المرة الأولى سنة 784ه و ثار عليه بلبغا الناصري، ففر ثم سجن بالكرك ثم بالإسكندرية، ثم عاد إلى ملكه سنة 792ه واستبد بالملك حتى وفاته سنة 801ه. انظر أبو المحاسن جمال الدين، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تح محمد أمين، تق سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، د س ، ج3 ،ص287.

[4] أحمد مختار العبادي ، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية ، دار المعرفة الجامعة ، القاهرة ، 1996 ، ص 234-235.

2/ الحياة الاقتصادية و الاجتماعية ببلاد المغرب في عصر ابن خلدون :

لكل عصر قيمه وعاداته وطرائقه وأساليب الحياة السائدة فيه، التي تحدد ملامح حضارة هذا العصر، والتي يعكسها الإنتاج الفكري لعلمائه ومثقفيه. كما يعكس هذا الإنتاج الفكري ملامح الحضارة والعصر التي ينتمي إليها فهو أيضا يتأثر بهما، لهذا ترتبط عملية استيعاب وفهم الإنجاز العلمي والفكري للعلامة ابن خلدون بالتعرف على ظروف عصره وملامحه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية [1]. فالعصر الوسيط الذي ينتمي إليه ابن خلدون لم تعرف مجتمعاته الطبقات الرأسية كما هو الحال اليوم بل كانت طبقات ومراتب وأصنافا أفقية على طول امتداد العالم الإسلامي. فهناك طبقة الجنود و طبقة العلماء وطبقة التجار وطبقة المتصوفة ... الخ. وكان أفراد كل طبقة يتعاطفون فيما بينهم بغض النظر عن اختلاف جنسياتهم مهما بعدت بهم المسافات وفرقت بينهم السياسات بمعنى أن العالمية والوحدة كانتا من سمات العصر الوسيط، وهو أمر كان ملائما لطبيعة البنية السياسية والنشاط الاقتصادي لذلك العصر [2].

وبخلاف النشاط التجاري الرائج كان هناك نشاط زراعي واسع في بلاد المغرب الأقصى حيث يصف ابن بطوطة، وابن الحاج النميري مدينة مكناس المغربية، وما يكتنفها من بساتين، وخضرة يانعة لاسيما جنات الزيتون المحيطة بها من كل جانب[3] ، و وصف خالد البلوي، البساتين المحيطة بمدينة بجاية ، الملتفة الأشجار اليانعة الثمار ، كل جانب عن النشاط الزراعي والتجاري في بلاد المغرب. فعند حديثه عن مدينة سور موسى من مجامع أشار إلى حوزها، الذي يتميز بكثرة الماشية، لاسيما الثيران المستخدمة في حراثة الأرض، دكالة التي بلغ عددها، حسب تقديره، ثالثة آلاف زوج[4].

ويبدوا أن استثمار الأراضي للزراعة كان يدر مدخلات طيبة، الأمر الذي شجع ابن الخطيب على محاولة شراء أرض زراعية ، واستثمارها في منطقة تامسنا [5].

وقد انعكس هذا الرخاء الاقتصادي على مستوى ونوعية الحياة في تلك البلدان التي عرفت أيضا نهضة عمرانية كبيرة أشارت كتب الرحالة إلى أبرز معاملها مثل مدرسة الكتبيين بتونس ، التي بناها الأمير زكرياء الحفصي المتوفى عام 700ه / 1300م ، وجامع الزيتونة في تونس، ومدينة سوسة التي وصفت على أنها صغيرة حسنة مبنية على شاطئ البحر ، وكذلك مدينة

---

[1] إسماعيل سراج الدين ، المرجع السابق ، 17 .
[2] أحمد مختار العبادي ،المرجع السابق ، ص 176.
[3] أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المعروف ابن بطوطة ، المصدر السابق، ج 1 ، ص 161.
[4] خالد بن عيسى البلوي ، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق (رحلة البلوي) ، تح الحسن السائح ، نشر صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المغرب والإمارات ، مطبعة فضالة ، المحمدية ، د ط ، د س ، ص 160.
[5] تامسنا تعني بالأمازيغية البسيط الخالي ، وهي الأراضي الممتدة على ساحل المحيط الأطلسي، من الرباط إلى أزمور، عند مصب نهر أم الربيع..

صفاقس وطرابلس . وفي المدينة البيضاء (أي فاس[1] العاصمة) حيث يصف ابن بطوطة جامع الحمراء في فاس وما يتميز به من حسن و إتقان للبناء ووصف أيضا عمارة الزاوية العظمى، التي تقع على غدير الحمص، خارج المدينة البيضاء، وهي التي لا مثيل لها في عجب وضعها وبديع صنعها. ويذكر بأن هذه الزاوية هي أبدع زاوية رآها في حياته مسجد الكتبيين، وصومعته الهائلة العجيبة، التي صعد إليها، فرأى من فوقها كل أطراف المدينة .كذلك وصف مدرسة مراكش [2] التي بناها السلطان أبو الحسن، التي تميزت بحسن الوضع، وإتقان

الصنعة. ومن الجدير بالذكر أن ابن بطوطة شبه مدينة مراكش بمدينة بغداد، إلا أن أسواق بغداد أحسن لتقارب الطقس، وكثرة أشجار النخيل في المدينتين [3].

و في مدينة مكناس يشيد ابن الخطيب بالزاوية القديمة ذات المئذنة السامية، والمرافق المتيسرة، والتي يلاصقها الخان البديع، الخاص بالسابلة و الجوابة في الأرض، ويقابلها غربا الزاوية الحديثة ، التي تتميز بالفسحة في المكان، والتفنن في البناء، والزاويتان من بناء السلطان أبى الحسن المريني زيارته لمدينة أغمات، يشير إلى مسجدها العتيق، الكبير المساحة، الرحيب الكنف، المتجدد الألقاب، ويصف مئذنته على أنها لا نظير لها في معمور الأرض، وذلك من باب السخرية والتهكم فقد كانت في الأصل مربعة الشكل ثم صار أهلها يبخسون الذرع ويجحدون العرض حتى صارت مجسما كاد يجتمع في زاوية المخروط فقبحت حتى ملحت ، واستحقت الشهرة والغرابة [4].

ولم تقتصر مظاهر النهضة العمرانية على ذلك فقط، حيث يشير الرحالة أيضا إلى الكثير من الطرق البرية والبحرية التي يسرت لهم سبل التنقل، فـ ابن بطوطة سلك في رحلته الطريق البري الساحلي من طنجة وصولا إلى الإسكندرية[5]، وذلك عرب المغربين الأوسط والأدنى. في حين أن خالدا البلوي اتبع الطريق ذاته، وصولا إلى تونس ، لكنه فضل البحر للوصول إلى الإسكندرية. وهو يصف لنا هذا الطريق، الذي أقلته فيه إحدى المراكب الضخمة، التي تتسع لنحو ألف راكب الخط البحري كان يمر عبر جزر البحر المتوسط التي يسيطر عليها الروم.

---

[1] مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر ، وهي حاضرة البحر و أجل مدنه قبل أن تختط مراكش ، انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ياقوت الحموي، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1995 ، ج 4 ، ص 230.

[2] مدينة مراكش من أعرق مدن المغرب تحتل موقعا حسنا في إفريقيا كلها على بعد خمسة فراسخ أو ستة من جبل الأطلس تأسست المدينة على يد المرابطين من قبل زعيمهم يوسف بن تاشفين أول ما بني فيها دار الأمة وجعلها عاصمة لدولته وبذلك بسط سيطرته على شمال غربي إفريقية مكونا مملكة تمتد من حدود الصحراء ومراكش حتى البحر المتوسط ومن الغرب حتى البحر المحيط، أما تاريخ تأسيسها اختلاف بين المصادر فهناك من قال تأسست سنة (454هـ-1062م)، وهناك من قال تأسست سنة (459هـ-1067م).ينظر:عائشة بوبكر وفاطمة الزهراء البوعمراني:مدينة مراكش خلال عصري المرابطين والموحدين القرن 5هـ-11م/6هـ -12م، مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر، تخصص دراسات إفريقية، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2016/2015م، ص14.

[3] إسماعيل سراج الدين المرجع السابق ، ص ص 23-24.

[4] ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص ص 56-57.

[5] مدينة قديمة جليلة عظيمة وكانت في القديم أكبر مما هي الآن وأعظم في كثرة الأهل والبنيان، بناها الإسكندر ذو القرنين على شاطئ البحر الرومي. انظر: أبو فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 1423 هـ، ج3 ،ص 490.

فكان الإقلاع من تونس إلى جزيرة قوسرة، ثم إلى مالطة، وأقريطش (كريت)، وبعض الجزر الصغيرة الأخرى وصولا إلى قبرص، التي هي جزيرة كبيرة معمورة بالنصارى كالجزر التي قبلها . ومن هذه الجزيرة كان الإقلاع إلى الإسكندرية مباشرة ، ويبدو من وصف البلوى أن هذا الخط كان مطروقا جدا، بدليل شدة الطلب عليه كما يفهم أيضا أن بعض خطوط المواصلات البحرية كانت تمر بمراكز غير إسلامية، الأمر الذي كان مألوفا للمسافرين ، مما يدل على أن حركة النقل والتجارة ، لم تكن تخضع لقيود أو موانع بين عالم الإسلام وبلاد غير المسلمين . ويؤيد هذا بن بطوطة ، استقل في طريق عودته من تونس إلى المغرب الأوسط ، سفينة عائدة للقطلانيين ، سارت به إلى سردانية وهي من جزائر الروم . ومنها إلى تنس ثم إلى مازونة ، و أخيرا إلى مرسى مستغانم[1] .

ولم تختلف أوضاع الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مصر -البلد التي قضى بها ابن خلدون الربع قرن الأخير من حياته- كثيرا عن الحياة في بلاد المغرب العربي من حيث ازدهار الحياة الاقتصادية وهو ما يظهر بوضوح في الانطباعات الخلاقة التي أوردها ابن بطوطة من خلال[2] وصفه لهذه البلاد التي زارها أثناء رحلته، ووصفه لمصر الحضارة التي بهرته مثلما بهرت معاصره ابن خلدون، فبدأ بوصف جمال الإسكندرية وقوة أسوارها وأبوابها ومنارتها وعمود السواري فيها، وفنادقها وموانئها وما فيها من مراكب وبضائع وتجار من مختلف الجنسيات، وأموال وأرباح طائلة. وحينما زار القاهرة بهره النيل بعذوبته واتساعه، وقال إنه ليس في الأرض نهر يسمى بحرا غيره[3] قال تعالى :(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) [4] فسماه يما وهو البحر ، ثم قال وفي النيل من المراكب ستة وثلاثون ألفا للسلطان والرعية تمر صاعدة إلى الصعيد و منحدرة إلى الإسكندرية ودمياط . وقد اتهمه البعض بالمبالغة ، ولكن ثبت أنه كان صادقا في أقواله ومصيبا في أحكامه لأن مثل هذه الأرقام ذكرها الرحالة الإيطالي Frescobaldi الذي زار مصر سنة 1384 م بعد ابن بطوطة بنحو خمسين سنة [5].

[1] ابن الحاج النميري ، المصدر السابق ، ص 194-196.
[2] ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 231 .
[3] إسماعيل سراج الدين ، المرجع السابق ، ص 19 .
[4] سورة القصص ، الآية رقم 7 .
[5] ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ج1 ، 232.

3/ الحياة الثقافية والفكرية ببلاد المغرب في عصر ابن خلدون :

لا يمكن الفصل بين الإنجاز العلمي الذي قدمه ابن خلدون للإنسانية وبين طبيعة الحياة الثقافية والفكرية التي عاصرها ابن خلدون وشكلت ملامح فكره وتكوينه المعرفي. فقد كان ابن خلدن تجسيدا في شخصه لوحدة علمية وثقافية شملت العامل العربي الإسلامي، كما كان تجسيدا في فكره لفلسفة التاريخ الإسلامية، وممثلا لحال الثقافة العربية الإسلامية في عصر توهجها الأخير. حيث عاش في زمن كان العرب والمسلمون فيه ما يزالون يقودون البشرية صوب التقدم والرقي.ومن ناحية أخرى كان العصر الذي عاش فيه ابن خلدون هو عصر التجميع، الذي أنتج الموسوعات الكبرى، عصر التوهج الأخير الذي شهد محاولات الجمع أكثر من محاولات الإبداع[1]. ومن ناحية أخرى، ازدهرت الكتابة التاريخية العربية، وتنوعت أنماط الكتابة التاريخية ما بين الكتب العامة، والرسائل ذات الموضوع الواحد، والسير الملكية، والتاريخ الحضري الذي يختص بمدينة ما، وفضائل البلدان، والخطط. كان ابن خلدون هو ابن العصر الأخير من عصور الثقافة العربية الإسلامية القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي. نهض الفكر و تشعبت مناحي الثقافة في المغرب بشكل واسع ، وبدت للآفاق بوادر فكر لاسيما إبان حكم الزيريين في القرن الخامس الهجري ، وتوطدت حينها علاقة المغاربة بالمشارقة وقد توسع عمرانهم وزهت حضارتهم " بالثروة والعلوم والفنون الجميلة ، وتبسط السكان في العيش ، وركنوا إلى البذخ والترف بتدفق الأموال على طبقات الشعب ، فمالوا إلى اقتناء الكماليات النفسانية ، وجنحوا إلى الآداب الرفيعة ، فزها الآداب وسار الشعر في مدارج الارتقاء وراجت سوق الأفكار أيما رواج " .[2]

وقد هيأ لذلك الرقي الفكري أسباب كثيرة منها : انتشار المكتبات ودور العلم ، وعكوف الناس على العلم والتعليم ، و إقبال أمراء بني زيري على ذلك ، وتشجيعهم العلماء والأدباء وقد تسابق إليهم ذوو العلم والمعرفة كما تذكر كتب التاريخ عن **المعز بن باديس** [3] "الذي كان محبا لأهل العلم كثير العطاء مدحه الشعراء و انتجعه الأدباء وكانت حضرته محط بني الآمال " [4]، وعنه

---

[1] إسماعيل سراج الدين ، المرجع السابق ، ص 29.

[2] بوحفص يعقوبية ، التفكير الأدبي والنقدي عند بن خلدون في ضوء النقد الحديث ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة وهران السانية ، ص 11.

[3] شرف الدولة أبو تميم المعز بن باديس بن المنصور بن يوسف بُلُكِّين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي، صاحب إفريقية وما والاها من بلاد المغرب، كانت ولادته بالمنصورية، ويقال لها صبرة ، جده هو أبو الفتوح يوسف بلكين الزيري الصنهاجي (362 - 373هـ/ 972 - 983م)، مؤسس الدولة الصنهاجية وأول حاكم لبلاد المغرب وإفريقية من أصل بربري بعد الفتح الإسلامي، وذلك من قِبَل الدولة العبيدية الفاطمية.ينظر الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، بيت الأفكار الدولية ، لبنان ، 2004 ، ج1، ص11.

[4] بن خلكان ، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، تح إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1972، ج 5 ، ص 233.

قال بن عذارى المراكشي " ولم يكن أحد في زمانه أشد بأسا في الملاحم ولا أطول يدا بالمكارم ، ولا أعنى بلسان العرب ، ولا أحنى على أهل الأدب [1]".

بلغت القيروان في هذا العصر من التمدن والحضارة ما لم تبلغه مدينة أخرى من مدن المغرب ، فكان يقصدها أكابر العلماء و أفواج المتعلمين يستفيدون من فيض مجالسها العلمية على اختلاف مشارب أولئك مشرقا ومغربا ، فأضحت رابعة الأمصار العربية إلى جانب الكوفة ودمشق وبغداد ، الأمر الذي جعل المؤرخين يصنفونها مدينة الإسلام في المغرب ، و إلى جانب القيروان حاضرة العلم والثقافة برزت مراكز إشعاع ثقافي أخرى كمدينة المهدية و صبره و أشبير .[2]

ولم تقف الحياة الفكرية في المغرب عند اتجاه الشعر و الآداب ، بل تحت اتجاهات عديدة ، غير ذلك برزت في علوم الدين والفقه والحديث ، واللغة والنحو والنقد .وما كان من اتجاه الدين والفقه المالكي أكثر رواجا في بلاد المغرب وقد جاءها ذلك بتأثير المدرسة الفقهية التي كان علماؤها يقصدون المدينة المنورة أداء مناسك الحج و بها الإمام مالك بن أنس ، وعنه يروون ، وعليه يتتلمذون ، و آثروا العمل بمذهبه ويعد الإمام سحنون بن سعيد بن حبيب التنوجي ، من الفقهاء الذين لعبوا دورا في تثبيت المذهب المالكي ، وقد اشتهر غيره كثير ، ممن نصب نفسه لحفظ الدين وقد انغمست البلاد في البذخ والترف وسارت إلى المجون .

فازدهرت الحركة الفقهية على مذهب مالك كثيرا ، وامتزجت دراسة الفقه بعلم الأصول وعني الكثير من المغاربة بعلم القراءات والتفسير وكثر الإقبال على دراسة الحديث وروايته فتعددت الرحلات للأخذ عن رجاله ، فقد كان المذهب المالكي[3] أقرب إلى مزاج الأندلسيين والمغاربة لاعتمادها على الحديث والنقل ، وعلى إجماع أهل السنة أكبر من اعتماده على القياس والنقل ، وذاك الذي لا يلاءم عقلية الأندلسيين لقصور أنفسهم على الجدل .[4]

ولما كانت السياسة بحاجة إلى الفقهاء والدين يستعملونه أسلوبا للتمويه أو إمالة الجماهير، وكذلك ما تهيأ للفقه من حق في شؤون القضاء ، جنحت إليه العامة تستوضح موقفه من شؤون حياتهم المحيطة بهم ، ومن المؤسف أن الجهلة من الصوفية ومن رجال الدين قد غلبوا على حياتهم السياسية ، فبلغ من "نفوذ المتصوفة في ملوك هذا القرن ما جعل السلاطين يخضعون لهم فضعفت همم العلماء على الابتكار في العلم . [5]

---

[1] بن عذارى المراكشي ، بيان المغرب في أخبار المغرب ، تح كولان و ليفي بروفنسال ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، مج 1 ، 1971، ص 315.

[2] أ ف غوتيه ، ماضي شمال إفريقية ، تر هاشم الحسني ، طرابلس ، ليبيا ، 1970 ، ص 258.

[3] أبي العرب ، طبقات علماء إفريقية وتونس ، تح علي الشابي ونعيم الباني ، ط 2 ، الدار التونسية ، 1985، ص 184 .

[4] أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، ط 2 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، 1360ه /1946م ، ج 3 ، ص 10 – 29.

[5] عبد المتعالي الصعيدي ، المجددون في الإسلام من القرن 1 ه إلى 14 ه ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، د ت ، ص 288، 289 .

وكان المذهب المالكي يقف عند حد النقل والنص ، فلا يميل إلى الجدل والمقايسة والاستدلال ، فكان له أثر في توجيه حياة المغاربة الفكرية وجهة خاصة انطبع بها نتاجهم الفكري فكانوا يتهافتون على العلوم النقلية ، ويرفضون كل نظر عقلي أو نزعة فلسفية "وليس غريبا بعد هذا أن يعتبروا المعتزلة كفارا ، والشيعة والخوارج مارقين وكان لا يفرق بين الفلسفة والمروق ".[1]

أما اتجاه اللغة والنحو ، فقد كان قليل الحظ نزر التدفق قياسا باتجاه الفقه ، ولكن المغرب لم يعدم علماء في اللغة والنحو الذين صنفهم المؤرخون إلى طبقات ، إذ عرف علم النحو تطورا كبيرا في القرون الرابعة والخامسة والسادسة للهجرة ، وتضلع فيه علماء المغرب و إستبحروا فيه ، وكشفوا عن كثير من خباياه بما شهد لهم بالتفوق في أبوابه ، وأشهر علماء النحو حينها بن الوزان ، الذي كان يميل في آرائه إلى مذهب البصريين ، وكان يستخرج من مسائل النحو والعربية أمورا لم يتقدمه فيها أحد، و أمره في ذلك يفوق كل أمر[2].

أما اتجاه الشعر فقد راجت سوقه على عهد المعز بن باديس ، الذي شجع الشعراء وبالغ في إكرامهم حتى اجتمع في بلاطه أكثر من مائة شاعر نظموا الشعر في أغراضه المختلفة ، ولاسيما منها المديح الذي كان يبلغ أحيانا درجة التصنع البارز و المبالغة في المكشوفة ، طمعا من الشاعر في التكسب .[3]

وكذلك ارتقت منزلة النثر الذي عنى به عناية فائقة جعلت الكتابة عندهم بمنزلة " ليس وراءها إلا منزلة الجيش ، إذ كانوا هم العمدة في يتناول إنشاؤهم الهيئات بالنصر وتقليد الوظائف ، وكتبات العمال و الأمراء والملوك " ، وتعددت طبقات الكتاب كما تعددت طبقات الشعراء ، وظهر من أولئك كتاب الإنشاء ، وكتاب الديوان ، ومن أشهر الكتاب ابن رشيق وابن شرف ، و أبو إسحاق الحصري ، و النهشلي ، فمن الذي ألفه ابن رشيق وابن شرف للمعز بن باديس المؤلفان الأدبيان النفسيان : العمدة ورسائل الانتقاد[4].

وقد كانت الكتابة الإنشائية أكثر رواجا من الكتابة الديوانية ، كتابة طبعت بطابع الزينة والصنعة عند أكثر الكتاب لأن أصحابها كانوا يرون في هذا الطابع النموذج الوافي في البلاغة ، فأكثروا من الألقاب و الأسجاع و أنواع المجازات[5] .

امتاز النشاط الثقافي في بلاد المغرب عامة بكثرة الفقهاء و المحدثين ،وبقيت العلوم العربية على أصولها ، وجنحت إلى الجمود وكثرة التعقيد والتفريغ لأصولها في تصانيف مختلفة في

---

[1] أبي العرب ، المرجع نفسه ، ص 20 .
[2] الزبيدي و الأندلسي ، طبقات النحويين واللغويين ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، 1973، ص 247.
[3] ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تح إحسان عباس ، دار الثقافة للطباعة ، بيروت ، 1979 ، ص 277.
[4] محمد طمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1989 ، ص 74 .
[5] أبو القاسم محمد كرو ، عصر القيروان ، ط 1 ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، تونس ، 1973 ص 31-32.

منهج العرض والبسط والمادة واحدة ، ولم يزد المتأخرون في هذا العصر على ما فعله سابقوهم ، وكل ما فعله أولئك كان جمعا لمتفرق ، أو تفريقا لمجموع ، أو شرحا لغامض ، وفي آخر الأمر فقدت العلوم روحها وطعمها [1].

فوجد النقاد أنفسهم في أزمة شبيهة بالأزمة التي وقع فيها شعراء العصر ذاته إذ لم يبق أمامهم من معاني الشعر إلا معنى مقلد أو مولد ، وقد استنفذ الأوائل القول فيها ، فجنح الإبداع إلى تكلف صنوف البديع وجانب الزينة اللفظية يغطي بها هؤلاء قصور الفكر عندهم إنشاء ونقدا ، فلم يكن التأنق اللفظي والمبالغة في زخرف القول قصرا على الإنتاج الوجداني بل تعداه إلى التأليف العلمي أيضا ، فأول ما يلفت النظر في أدب هذا العصر التأنق في الصناعة اللفظية مع التزام السجع في الجمل ومن كثرة التضمين للأشعار والأمثال والآيات و الأحاديث ومن الإغراق في تطلب التشابيه والاستعارات[2] .

ويتفق مؤرخو الفكر المغربي والأندلسي على أن القرن الثامن للهجرة الرابع عشر الميلادي، كثير الإنتاج، عميق البحث. فهو العصر الذي عاش فيه ابن خلدون، كان قرنًا خصب الذي عاش فيه فطاحل العلماء والفقهاء، وفحول الشعراء والأدباء، الذين انصهروا في بيئة الشمال الإفريقي، ونهلوا من معينها، فأفادوا واستفادوا، وتناظروا، وعلموا، وكتبوا، وأنتجوا ً إنتاجا يتميز بأصالته، وجدته. وقد احتفظت لنا خزائن الكتب في المغرب العربي بكثير من هذا الإنتاج، الذي لم ينشر منه إلا جزء ضئيل جدا[3].

يمكن القول، بأن أدب الرحلات هو من أهم الآثار التراثية التي ميزت هذه الحقبة . فقد جاب عدد كبير من الرحالة المغاربة والأندلسيين الشمال الإفريقي طوال وعرضا، وجاسوا فيه خلال الديار، وفحصوا أغواره، وإنجاده، واصفين لنا بدقة الأحوال السياسية، والثقافية، والتاريخية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعمرانية لهذه البلاد[4].

ولكتب الرحلات هذه أهمية قصوى لاسيما أنها تصف المسالك والممالك، والمشاهد والمآثر، والمعالم ، والحفلات ، والمناسبات الخاصة، والأعياد، والعادات والتقاليد، والمناظر الطبيعية، وغير ذلك مما يدخل في إطار تجولهم، ويقع تحت سمعهم و أبصارهم ، كل حسب تكوينه ، ومقاصده وعاداته ، وطبعه [5].

وبالإضافة إلى الحج هناك العديد من الأسباب الأخرى التي كانت تدفع للقيام بالرحلة ، مثل طلب العلم ، فالرحلات العلمية كانت شائعة بين الغرب الإسلامي والمشرق ، وكان هدف هذه الرحلات هو الاستفادة من العلماء بزيارة الأمصار الإسلامية التي عرفت بتبحرها في العلوم

---

[1] أحمد أمين ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 125 .
[2] عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 5، 1985 ، ج 2 ، ص 407 .
[3] محمد موسى شريف ، المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة المنورة ، دار الأندلس ، جدة ، 1421ه ، ص112.
[4] إسماعيل سراج الدين ، المرجع السابق ، ص 30 .
[5] محمد بن أحمد بن شقرون ، مظاهر الثقافة المغربية ، الرباط ، 1970 ، ص 182.

المختلفة، وهناك نوع آخر من الرحلات مثل الرحلات السياسية ، التي غالبا ما يقوم بها الرجال الذين يضطلعون بمهمة السفارات ، والرحلات السياحية والرحلات التجارية [1]

[1] حسين محمد فهيم ، أدب الرحلات ، سلسلة عالم المعارف ، الكويت ، 1989، ص 90.

الفصل الأول : نبذة عن حياة ابن خلدون :

1/ نسب عبد الرحمان ابن خلدون .

2/ مولده و نشأته .

3/ شيوخ ابن خلدون .

4/ تلاميذ ابن خلدون .

5/ مؤلفاته

1/ نسب عبد الرحمان ابن خلدون :

وهو عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمان بن خلدون الخضرمي[1] ،وهو المكنى بأبي زيد ، ولقبه ولي الدين ، وشهرته بن خلدون[2] ، حيث ذكر بن خلدون نسبه بهذا الشكل وقال : " لا أذكر من نسبي إلى خلدون غير هؤلاء العشرة " [3].

هكذا ينتمي ابن خلدون إلى أسرة عربية عريقة[4] من يمن حضرموت[5]، و أنها تنسب إلى وائل حجر وهو صحابي معروف [6]. وقد دخل خالد بن عثمان الذي اشتهر فيما بعد باسم خلدون وهو من أحفاد وائل بن حجر إلى الأندلس مع الغزاة العرب ، و أنشأ بيتا في قرمونة ، ثم انتقلت أسرة خلدون فيما بعد[7] إلى اشبيلية[8].

وعندما استولى ابن ادفونش على اشبيلية انتقلت الأسرة إلى تونس وذلك منتصف القرن السابع هجري[9] .

كان رأس هذه الأسرة خلدون، و هو خالد بن عثمان بن الخطاب بن كريب بن معد يكرب بن الحارث بن وائل بن حجر ، و إذا كان هذا النسب صحيحا فإن ابن خلدون يكون سليلا لأمير من قبيلة كندة الشهير [10] .

لقد بدأ نجم بنو خلدون يسطع منذ عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأموي[11] (247-300ه)/(861 -912م) خلال الاضطرابات و الفتن التي ثارت في

---

[1] عبد الرحمان ابن خلدون ، التعريف برحلة ابن خلدون ، تح محمد بن تاويت الطنجي ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت ، لبنان ، 1435ه/2004 ، ص 27.

[2] أمال غماري و فتيحة عمرون ، البعد الحضاري في فكر بن خلدون ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر ، كلية الآداب واللغات ، جامعة تلمسان ، الجزائر ، 2012-2013، ص 16.

[3] عبد الرحمان بن خلدون ، المصدر نفسه ،ص 27.

[4] زينب محمود الحضيري ، فلسفة التاريخ عند بن خلدون ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط2 ، 1985 ، ص 16 .

[5] اسم مركبان: ناحية واسعة في شرقي عدن، بقرب البحر، وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف انظر: : ابن عبد الحق الحنبلي، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، ط1 ،1412 هـ، ج 1 ،ص 409.

[6] على عبد الواحد وافي ، عبد الرحمان ابن خلدون حياته و أثاره ومظاهر عبقريته ، مكتبة مصر ، 1962، ص 12.

[7] طه حسين، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، تر محمد عبد الله عنان، مطبعة الاعتماد. ط1 ،1925 ،ص9.

[8] مدينة كبيرة عظيمة وليس بالأندلس اليوم أعظم منها ، وبها قاعدة ملك الأندلس وسريره، وهي غربي قرطبة بينهما ثلاثون فرسخا، وكانت قديما، فيما يزعم بعضهم، قاعدة ملك الروم وبها كان كرسيهم الأعظم. واشبيلية قريبة من البحر يطل عليها جبل الشرف، وهو جبل كثير الشجر والزيتون وسائر الفواكه، ومما فاقت به على غيرها من نواحي الأندلس زراعة القطن فإنه يحمل منها إلى جميع بلاد الأندلس والمغرب، انظر: : ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج1 ،ص 195.

[9] زينب محمود الحضيري ، المرجع السابق ، ص 16 .

[10] طه حسين ، المرجع السابق، ص 9 .

[11] صاحب الأندلس، وكانت خلافته خمسين سنة وستة أشهر، وله من العمر يوم مات ثلاث وسبعون سنة، وترك أحد عشر ولدا، كان أبيض حسن الوجه عظيم الجسم طويل الظهر قصير الساقين، وهو أول من تلقب بأمير المؤمنين من أولاد الأمويين

الأندلس ، و كانت اشبيلية موطن بنو خلدون في مقدمة المدن الثائرة، و قد شارك في قيادة هذه الثورات ولدان من حفدة خلدون، هم كريب بن عثمان بن خلدون، و أخوه خالد، و انتهت الثورات بعد عدة مراحل بان استبد كريب بن عثمان بن خلدون بالأمر، و استقل بإمارة اشبيلية، و لكن حصلت في عهده عدة ثورات انتهت بقتله، و بقي بنو خلدون بعد ذلك بلا زعامة [1].

لما استولى الموحدون على الأندلس سنة 540 ه/ 1145م، وملكوها من يد المرابطين[2] عقب فتنة خفقت ريحها في تلك البلاد، نزحت أسرة بنو خلدون إلى افريقية[3]، فأكرمهم الحفصيون و عطفوا عليهم، و التحقت ببلاط بني حفص في تونس وشغلت هناك عدة مناصب [4].

لما سقطت دولة الموحدين و غلب على تونس نفوذ بني حفص . ظل محمد بن أبي بكر بن محمد بن خلدون الجد الأول لصاحب المقدمة محتفظا بمكانته فقد قربه إليه أميرهم و واله حجابته حينا حتى اعتزل الحياة العامة و لكن بقيت مكانته و نفوذه حتى وفاته سنة 737 ه / 1336م. أما ابنه عبد الله محمد و هو والد ابن خلدون فقد عزف عن السياسة واثر العلم و الدرس فقرا و تفقه حتى وفاته سنة 749ه / 1348م. عن خمسة أبناء، و منهم صاحب المقدمة الذي كان حينها في الثامن عشرة من عمره [5].

قد كان لهذه الأسرة إذا قدما راسخة في السياسة و العلم معا، فقد وصفه ابن حيان كما جاء في كتاب علي عبد الواحد وافي " عبقريات ابن خلدون " في مرحلة مقام بني خلدون بالأندلس، فقال :" بيت بنو خلدون إلى الآن في اشبيلية نهاية في النباهة. و

لم تزل أعالمه بين رياسة سلطانية و رياسة علمية "[6].

الداخلين إلى المغرب، وذلك حين بلغه ضعف الخلفاء بالعراق، وتغلب الفاطميين، فتلقب قبل موته بثلاث وعشرين سنة. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، دار الفكر، 1986 م، ج 11 ،ص2.

[1] علي عبد الواحد وافي ، المرجع السابق ، ص 25.

[2] دولة المرابطين حكمهم 448 -541 هـ/1056 – 1147م ، وهم بربر أبناء صحراء من قبيلة لمتونه وهي فرع من صنهاجة، سموا بالمرابطين ألنهم تتلمذوا على يد عبد الله بن ياسين في الرباط الذي أنشأه للدرس والعبادة في صحراء المغرب ، وكانوا يعرفون بالملثمين أيضا، انظر: أحمد معمور العسيري ، موجز التاريخ الإسلامي ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض، السعودية ط1 ،1996 م، ص245.

[3] مدينة كبيرة محدثة على ساحل البحر روم ، عمرت على أنقاض مدينة كبيرة قديمة بالقرب منها يقال لها قرطاجة وهي على ميلين من قرطاجنة ، ويحيط بسورها أحد وعشرون ألف ذراع وهي الآن قصبة بلاد افريقية ، انظر : ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج 2، ص 60.

[4] علي عبد الواحد وافي ، المرجع السابق ، ص 25.

[5] طه حسين ، المرجع السابق ، ص 10 .

[6] على عبد الواحد وافي ، المرجع السابق ، ص 27-28.

2/ مولده و نشأته :

ولد عبد الرحمن بن خلدون في غرة رمضان سنة 732 هـ/ 1332 م[1]، ووجهه أبوه لطلب العلم منذ صباه المبكر، نشاء ابن خلدون و ترعرع في حضن والده الذي رباه تربية إسلامية، فشب على حب الإسلام و تعاليم مبادئ الدين الحنيف و تطبيقها، فحفظ القرءان الكريم على يد والده، و اخذ عنه مبادئ اللغة العربية ثم توسع في العلوم الأخرى[2]، فكانت نشأة ابن خلدون في أسرة امتطت ذرى الرياسة و خفق فيها روح العلم و الأدب[3] .

فحضر مجالس علماء تونس الذين كان منهم كثيرون من مهاجري الأندلس، حيث تعلم وحفظ القرآن وهو يافع على يد الشيخ أبى عبد الله محمد بن سعد، ودرس العربية على يد أبيه وعلى يد عدد آخر من العلماء والمشايخ منهم عبد الله محمد بن العربي الحصايرى ، وعبد الله محمد بن الشواش الزرزالي، وقرأ الحديث على الشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن جابر، وأخذ الفقه عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله الجياني وغيره، ولازم آخرين أخذ عنهم العلوم العقلية مثل أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي [4] الذي أخذ عنه المنطق وسائر الفنون الحكمية والتعليمية، حيث لازمه ابن خلدون لمدة ثلاث سنوات بعد وفاة والديه في 749 ه في الطاعون الجارف الذي عم بلاد العالم آنذاك [5] .

وقد بدأ ابن خلدون حياته العملية مبكرا ، فقد عمل وهو في تونس مع محمد بن تافراكين حاكمها في عام 752 ه ككاتب للعلامة أو المسؤول عن وضع توقيع وختم السلطان على المراسيم التي يصدرها، وهو في نحو العشرين من عمره، وهكذا جمع بين طلب العلم والاشتغال بالسياسة[6].

وفي فاس استدعاه السلطان المريني أبو عنان فارس لكي يتولى الكتابة له، فعمل في خدمته مدة منذ آخر سنة 756 هـ، حيث ضمه السلطان إلى هيئة علمائه التي تبحث في المسائل الدينية والنحوية بحضرة السلطان ، ثم عينه بعد ذلك أمينا لشؤونه سكرتيرا ، واستغل

---

[1] أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، مكتبة النهضة المصرية، ط 1 ، ج4 ، 1999، ص 145.

[2] أمال غماري و عمرون فتيحة ، المرجع السابق ، 19.

[3] علي عبد الواحد وافي ، المرجع السابق ، ص 29 .

[4] وهو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني عرف بالآبلي الإمام العلامة العمدة الفقيه المحقق المتفنن الشيخ الفاضل ولد سنة (681هـ) سمع القاضي ابن غبلون وأخذ عن أبي الحسن التنسي وابني الإمام (أبو زيد وشقيقه أبو موسى عيسى) وابن البناء و انتفع به، رحل للمشرق ولقي أعلاما وأخذ عنهم وعنه أخذ جلة منهم ابن خلدون وانتفع به وسعيد العقباني وابن عرفة، توفي سنة(757هـ) بفاس. ينظر:محمد بن محمد مخلوف:شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ، ص221.

[5] عبد الرحمان بدوي ، المرجع السابق ،161 .

[6] إسماعيل سراج الدين ، المرجع السابق ، ص 12-13.

ابن خلدون وجوده في فاس في النظر والقراءة والتعلم من كبار الشيوخ والعلماء من أهل المغرب والأندلس الوافدين على فاس بغرض السفارة أو الزيارة[1].

غطى نشاط ابن خلدون ميادين الإدارة والسياسة والخطابة، والقضاء والدرس والبحث، والتدريس والتأليف، تنعم بالقصور وذاق مرارة الاعتقال والسجن، ودخل غمار الحياة العامة قبل أن يبلغ العشرين من عمره. وتنقل على امتداد عمره بين وظائف كتابة السر، وخطة المظالم، وصار وزيرا ، حاجبا ، سفيرا ومدرسا ، وقاضيا وخطيبا . وقد مارس كل ذلك بين سلسلة من الحوادث والمشاكل وبين ضروب من المنافسات والمخاصمات والانقلابات السياسية التي اشترك اشتراكا فعليا في عدد غير قليل منها. وقد ساعده ذلك كثيرا في إثراء تأملاته عند كتابة مقدمته [2]، حيث مكنته هذه الخبرة الحياتية العميقة من اكتساب معرفة دقيقة بأحوال العامل الإسلامي كله، بل تجاوز ذلك إلى معرفة ما يحيط بهذا العالم، سواء على حدوده الغربية في أوروبا أو في حدوده الشرقية المتاخمة للإمبراطورية التترية، وهو ما كان لها أكبر الأثر على التكوين الفكري والثقافي لـ ابن خلدون [3] .

الذي انعكس بعد ذلك في عمله الموسوعي العرب في ديوان المبتدأ والخبر و لاسيما الجزء الأول منه المعروف بالمقدمة فقد كان حضري المولد والمعيشة والتفكير حيث قضى معظم حياته بين تونس والقاهرة [4]وغرناطة، والقدس ودمشق وفاس، وغرناطة وأشبيلية، وهى مدن عريقة مزدهرة بالعلوم والفنون .وليس هناك من شك أن عيشة ابن خلدون في تلك المدن ساهمت في توسيع أفق تفكيره، وأتاحت له فرصًا فريدة للانفتاح الذهني نتيجة الاتصال بعلماء ذوي ثقافات فرعية مختلفة داخل الإطار الإسلامي الشامل، وما حدث خلال ذلك من احتكاك في الآراء لابد أنه قد انبعثت منه شرارات الإلهام في شتىّ أنحاء العلوم التي مكنت ابن خلدون من مطالعة العديد من الكتب التي ألفت أو صنفت فيها ، تلك الكتب التي زخرت بها المكتبات العامة والخاصة في تلك المدن. [5]

كذلك ساعدته إقامته وعزلته في قلعة ابن سلامة [6]على التفرغ والتأمل الذي يتيح جولان الفكر في الذهن المليء بالمعرفة في صفاء نظر وروية تنظير. كما أن مقامه الطويل بالقاهرة مكنه من تنقيح كتاب العرب ، وإضافة تاريخ المشرق إليه وإعادة النظر في مقدمة كتابه وزيادة

---

[1] طه حسين ، المرجع السابق ، ص 13 .

[2] سامية الساعاتي ، ابن خلدون مبدعا ، قراءة جديدة لفكره ومنهجه في علم الاجتماع ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط 1 ، 2006، ص 11-13.

[3] إسماعيل سراج الدين ، المرجع نفسه، ص 13 .

[4] القاهرة:تقع مدينة القاهرة –عاصمة مصر-موقعا وسطيا بين مصر العليا ومصر السفلى، ولا تقع القاهرة على شاطئ النيل نفسه وإنما على مسافة نحو ثمانمائة متر أو أربعمائة قامة من شاطئه الأيمن. ينظر:علماء الحملة الفرنسية:وصف مصر ، تر: زهير الشايب ومنى زهير الشايب ، دار الشايب للنشر، ط1، 1413هـ-1992م، ص18.

[5] إسماعيل سراج الدين ، المرجع السابق ، ص 19.

[6] تقع قرية أولاد سلامة بتاغزوت وتقع في مقاطعة وهران من بلاد الجزائر ي ، أنظر : حسين عاصي ، ابن خلدون مؤرخا ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت ، لبنان ، 1991، ص 39.

إضافات كثيرة عليها على درجة كبيرة من الأهمية، كذلك فإن الصراعات السياسية وقرب ابن خلدون منها، بل مشاركته في بعضها ساعده كثيرا على صياغة آرائه حول صالح المجتمعات وتطورها وانهيارها [1].

يمكن أن نقسم حيات ابن خلدون إلى أربعة مراحل و أربعة أدوار:

الدور الأول : وهو دور الدراسة حتى سن العشرين أي من عام 732 ه إلى 752 ه وقد قضاه في تونس [2] .

الدور الثاني : أي دور العمل السياسي واستمر أكثر من عشرين عاما وهو يمتد من 725ه إلى 766ه .

الدور الثالث : وهو دور التأمن والتفكير في قلعة ابن سلامة أولاد بني عريف . وقد استمرت هذه الفترة أربع سنوات فقط حتى نهاية 780ه.

الدور الرابع : وهو دور الانصراف إلى التدريس والقضاء وفيه اكتفى بالتدريس في تونس عام 780ه إلى عام 784ه ، أما في مصر فقد زاول الاثنين معا ، وتمتد هذه الفترة من عام 784ه إلى وفاته وفي هذه الفترة الطويلة التي قضاها في مصر [3].

[1] سامية الساعاتي ، المرجع السابق ، ص 13 .
[2] زينب محمود الحضيري ، المرجع السابق ، ص 27.
[3] أمال غماري و فتيحة عمرون ، المرجع السابق ، ص 18-19.

3/ شيوخ ابن خلدون :

كان أول أستاذ لابن خلدون هو والده، ولم يقل لنا ابن خلدون شيء عن العلوم التي تلقاها من أبيه، على أنه من المحتمل أن محمد بن خلدون علم ابنه القرءان والكتابة و مبادئ النحو و الأدب و الفقه [1].

كانت تونس حينئذ مركز العلماء و الأدباء في بلاد المغرب و منزلة رهط من علماء الأندلس الذين رحلوا إليها بعد أن شتتهم الحوادث ، فكان من هؤلاء وأولئك أساتذة ابن خلدون و معلموه .فقرأ عليهم القرآن و جوده بالقراءات السبعة، و درس عليهم العلوم الشرعية من تفسير وحديث و فقه على المذهب المالكي (الذي كان و لا يزال المذهب السائد في بلاد المغرب)، و أصول وتوحيد و درس عليهم العلوم اللسانية من لغة و نحو و تصوف وبلاغة وأدب درس ابن خلدون المنطق و الفلسفة والعلوم الطبيعية و الرياضية فيما بعد[2].

حظي ابن خلدون في جميع دراسته بإعجاب أساتذته و نال إجازاتهم، و قد عني بذكر أسماء معلميه و خاصة بترجمتهم ومكانتهم في علومهم و مؤلفاتهم [3]، كما قدم لنا لمحة مختصرة عن حياتهم ومبلغ تبحرهم في المواد التي درسوها، و من اظهر ما عني بذكرهم من أساتذته محمد بن سعد بن برال الأنصاري، واصله من جالية الأندلس اخذ من مشيخة بلنسية [4]و أعمالها، قرأ عليه ابن خلدون القراءات السبعة المشهورة إفرادا وجمعا[5] .

تعلم العربية على يد والده، و على يد الشيخ أبو عبد الله محمد بن العربي الحصايري و كان إماما في النحو، و احمد بن القصار الذي قال عنه ابن خلدون انه كان ممتعا في صناعة النحو، و أخذ الفقه بتونس عن كل من أبي عبد الله محمد بن عبد الله الجياني الفقيه، و أبو القاسم محمد القصير، كما كان يحضر مجلس قاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن عبد السالم، حين استمع منه كتاب الموطأ لإلمام مالك، ومحمد بن سليمان الشطي شيخ الفتية بالمغرب و إمام مذهب مالك[6].

---

[1] طه حسين ، المرجع السابق ، ص 11.

[2] علي عبد الواحد وافي ، المرجع السابق ، ص 30-36.

[3] محمد عبد الله عنان، ابن خلدون حياته وتراثه الفكري، مطبعة دار الكتب المصرية.،القاهرة، د ط، د س، ص1.

[4] مدينة مشهورة بالأندلس متصلة بحوزة مدينة تدمير، وهي شرقي تدمير وشرقي قرطبة، وهي بر وأنهار، وتعرف بمدينة التراب، وتتصل بها مدن تعد في جملتها، والغالب على شجرها القراسيا، ولا يخلو منه سهل ولا جبل، وينبت بكورها الزعفران، وبينها وبين تدمير أربعة أيام ومنها إلى طرطوشة أيضا أربعة أيام، وكان الروم قد ملكوها سنة 487 ،واستردها الملثمون الذين كانوا ملوكا بالغرب قبل عبد المؤمن سنة 1995،وأهلها خير أهل الأندلس يسمون عرب الأندلس ،انظر:ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج1 ، 490.

[5] خالد عزب، محمد السيد، مع ابن خلدون في رحلته، تق إسماعيل سراج الدين، مكتبة أخبار اليوم، مصر، د ط، 2006 ، ص 20.

[6] خالد عزب ، محمد السيد ، المرجع السابق ص 22.

كما نجد عبد الله بن يوسف بن رضوان المالقي الذي قال عنه ابن خلدون :" من مفاخر المغرب في براعة خطه و كثرة علمه وحسن سمته و إجادته في فقه الوثائق و البالغة في الترسيل عن السلطان و حوكي الشعر و الخطابة على المنابر" [1]. و أخذ أيضا عن عبد اهلل محمد بن إبراهيم الآبلي شيخ العلوم العقلية و التي منها المنطق و ما وراء الطبيعة و العلوم الرياضية و الطبيعية و الفلكية و كذا الموسيقى [2].

يذكر لنا ابن خلدون أن الكتب التي درسها في حداثته و صباه كانت نادرة في تونس، هذا وقد ارتاب الأستاذ الدكتور طه حسين في رسالته عن فلسفة ابن خلدون الاجتماعية في أن يكون ابن خلدون قد درس في صباه جميع الكتب التي ذكرها ، كاللامية في القراءات و الرائية في رسم المصحف - و كلتاهما لشاطبي - و التسهيل في النحو البن مالك، و كتاب الأغاني ألبي فرج الأصفهاني، و طائفة من كتب الشعر[3]، و معظم كتب الحديث كمختصر المدونة، و صحيح مسلم، وموطأ مالك وغيرها من عشرات الكتب الأخرى، ويذهب إلى أنه ربما لا يعرف من بعض هذه الكتب إلا أسمائها و أنه ذكرها بقصد التمدح و التفاخر[4]،

و أن التربية التي تلقاها ابن خلدون في حداثته و صباه لم تكن خارقة ولم تتعد في مجموعها ما يتلقاه اليوم طلبة المدارس والجامعات، على أنه يقال أنها كانت عظيمة جدا بالقياس إلى مستوى التربية في وطنه [5].

يبدو أنه ليس بصحيح في بعض ما ذكره الأستاذ الدكتور طه حسين، حيث أنه لم يرد في كالم ابن خلدون ما نسب إليه من استحالة الحصول على بعض النسخ في عصره كنسخة من كتاب الأغاني، و لعل الدكتور طه حسين اعتمد في ذلك على ترجمة فرنسية غير صحيحة للمستشرق دوسلان [6].

كما أن جميع الكتب التي ذكرها ابن خلدون في هذه الفترة قد أتيح له دراستها دراسة عميقة، بدليل ما يذكره ابن خلدون في الباب السادس من كتابه المقدمة، والذي تطرق فيه إلى مسائل كل كتاب منها و مناهجه و خالصة آراء مؤلفه و تاريخ تأليفه و مدى انتشاره[7]، لكن ما

---

[1] عبد الرحمان ابن خلدون ، التعريف ، ص 42.
[2] علي عبد الواحد وافي ، المرجع السابق ، ص 31.
[3] طه حسين ، المرجع السابق ، 11.
[4] علي عبد الواحد الوافي ، نفسه ، ص 32.
[5] طه حسين ، المرجع نفسه ، ص 12.
[6] هو مستشرق فرنسي (1801-1890) ترجم مقدمة ابن خلدون و علق على بعض فقراتها وشرح بعض عباراتها ومهد له ببحث طويل في التعريف بابن خلدون، طبعت هذه الترجمة وملحقاتها في ثلاث مجلدات انظر: علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص38.
[7] محبوب الزاوي و علي عبد الرحمان لجدل ، النشاط السياسي والعلمي لابن خلدون في بلاد المغرب ومصر 732ه-808ه/1332م-1406م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الوسيط والحديث ، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، 1438ه-1439ه/ 2017م-2018م ، ص 33 .

كاد يبلغ ابن خلدون العشرين من عمره حتى انقطع عن الدراسة و اقتحم مجال الحياة السياسية المضطربة التي كانت تتميز بها بلاد المغرب في ذلك الحين[1] .

[1] أمال غماري و فتيحة عمرون ، المرجع السابق ، ص 18.

4/ تلاميذ ابن خلدون :

لا يمكن الحديث عن تلاميذ ابن خلدون بالمعنى التقليدي للكلمة، ألنه لا يوجد أحدا معينا تتلمذ عليه مباشرة، على الرغم من غزارة علمه، وبراعته في علوم شتى، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن ابن خلدون لم يستقر في مكان حتى يغادره، وكان همه منصرفا في السياسة، وكان على شغل بعلوم متنوعة، فلم يتسن ألحد أن يتتلمذ بشكل مباشر عليه، ولكن أثاره التي خلفها تشهد بتأثر الكثيرين به وبعلمه، وبانضمامهم إلى مدرسته التي أسهم في إيجادها على امتداد رقعة جغرافية واسعة . ولعل أشهر هؤلاء ابن الأزرق و المقريزي، ويضاف إليهما من كان له اطلاع على مؤلفات ابن خلدون بعد وفاته [1].

و ابن الأزرق، هو محمد بن علي بن محمد الاصبحي الأندلسي، أبو عبد الله، شمس الدين الغرناطي ابن الأزرق (831 - 896 ه/1429-1491م) عالم اجتماعي، سلك طريق ابن خلدون ، من أهل غرناطة ، تولى القضاء بها إلى أن استولى عليها الإفرنج ، فانتقل إلى تلمسان ، ثم إلى المشرق يستنفر ملوك الأرض لنجدة صاحب غرناطة ، ثم حج ورجع إلى مصر، فجدد الكلام في غرضه ، فدافعوه عن مصر بقضاء القضاة في بيت المقدس، فتواله بنزاهة وصيانة، ولم تطل مدته هنالك حتى توفي به. له كتب، منها (إبريز المسبوك في كيفية آداب الملوك) و (تخيير الرياسة وتحذير السياسة)، لخص فيه كالم ابن خلدون في مقدمة تاريخه مع زوائد كثيرة لا يستغنى عنها بوجه [2].

أما المقريزي (766 - 845 ه/1365 -1442م) فهو احمد بن علي بن عبد القادر العباسي الحسيني، تقي الدين المقريزي مؤرخ الديار المصرية، أصله من بعلبك ونسبته إلى حارة المقارزة (من حارات بعلبك في أيامه) ، ولد ونشأ ومات في القاهرة، وولي فيها الحسبة و الخطابة والإمامة مرات، و اتصل بالملك الظاهر برقوق، فدخل دمشق مع ولده الناصر سنة 810ه / 1408م، وعرض عليه قضاؤها فأبى. وعاد إلى مصر، له مؤلفات كثيرة كان متأثرا في مجموع منها بابن خلدون [3].

ممن تأثروا في ابن خلدون أيضا الدماميني (763 - 838 ه/1362 – 1435م) وهو محمد بن محمد أبي بكر عبد الله، المخزوني القرشي، ولد بالإسكندرية وارتحل إلى القاهرة، ولازم ابن خلدون واخذ عنه [4].

---

[1] بندر رفيد العنزي ، ابن خلدون ناقدا، رسالة للحصول على شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها، جامعة الشرق الأوسط ، مصر، 2001-2012، ص 31 .

[2] خير الدين الزركلي ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، ط 15 ، 2002 ، ج 6 ، ص 289 .

[3] أبو المحاسن جمال الدين ، المنهل الصافي ، ص 415 .

[4] خير الدين الزركلي ، ج 4 ، ص 127 .

ومنهم ابن جماعة (749 - 819 ه /1348 – 1416م) ، وهو محمد بن أبي بكر ابن عبد العزيز بن محمد الكناني الحموي المصري الشافعي، ولد في ينبع على ساحل البحر الأحمر، وانتقل إلى القاهرة، وأقام فيها و لازم ابن خلدون، وابن مرزوق الحفيد، ولد في تلمسان في بلاد المغرب و ارتحل إلى المشرق حيث تعلم الفقه و الحديث و الأصول و علوم العربية [1]. ومنهم أيضا البساطي (760 - 842 ه / 1359 – 1440م) وهو محمد بن احمد ابن عثمان الطائي البساطي، ولد في بلدة بساط غربي مصر، وارتحل إلى القاهرة، وفيها اخذ علومه في المذهب المالكي عن ابن خلدون [2].

[1] نفسه ، ج 6 ، ص 60 .
[2] نفسه ، ج 5 ، ص 332 .

5/ مؤلفاته :

كان ابن خلدون شابا لم يتجاوز العشرين، وفي أوج طموحه السياسي ، و ما يحيط بها من مكائد و دسائس ، و ما تحيكه القصور من حولها ، كل هذا لم يمنع ابن خلدون من البدء مبكرا في التأليف والتدوين و هو مزال شابا يافعا، و كأن طلب العلم و التدوين و التأليف و التعليم فطرة عند ابن خلدون، و لم يتخلى عنها، و لم يشغله عنها شاغلا [1]، و هذا ما جعله يترك لنا أثارا علمية مخلفة نذكر من بينها :

كتاب العبر : إن هذا الكتاب الأول الذي يعرض فيه ابن خلدون نظرياته في التاريخ و الاجتماع، والذي يشغل وحده مجلد كبير، ليس إلا مقدمة لمؤلفه التاريخي الضخم أو تاريخه العام . ويسمى ابن خلدون مؤلفه التاريخي << كتاب العبر>> وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر[2] .

هذا ويقسم ابن خلدون كتابه إلى ثالثة كتب كبيرة على النحو التالي :

في العمران ذكر ما يعرض فيه من الملك و السلطان و الكسب و المعاش و الصنائع و العلوم وما لذلك من العلل و الأسباب ، وهو المعروف بالمقدمة [3].

تناول ابن خلدون في هذا الكتاب أحوال البشر واختلاف طبائعهم و البيئة وأثرها على الإنسان ، كما تناول دراسة الأمم و الشعوب ونشوء الدولة وأسباب انهيارها، مركزا في تفسير ذلك على مفهوم العصبية. بهذا الكتاب سبق ابن خلدون غيره من المفكرين إلى العديد من الآراء و الأفكار حتى أعتبر مؤسسا لعلم الاجتماع [4].

في أخبار العرب و أجيالهم ودولتهم منذ مبدأ الخليقة إلى هذا العهد فيه الإلمام ببعض ممن عاصرهم من الأمم و المشاهير و دولهم مثل : النبط و السريانيين و الفرس وبني إسرائيل و القبط و اليونان و الترك و الإفرنج [5]، وهو الذي شمل على المجلد الثاني و الثالث و الرابع و الخامس [6].

يضم هذا الكتاب المجلد السادس و السابع . يتحدث في أخبار البربر ومن إليهم من زناته وذكر أوليتهم و أجيالهم وما كان لهم بديار المغرب خاصة من الملك و الدول [7]، بالإضافة إلى ترجمة

---

[1] أمال غماري و فتيحة عمرون ، المرجع السابق ، ص 27.
[2] محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص 129.
[3] ساطع الحصري ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 3 ، 1967، ص 87.
[4] عبد الغني مغربي، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، تر محمد الشريف بن دالي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ديوان المطبوعات المدرسية، الجزائر، د ط، 1988 ،ص35.
[5] محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص 130 .
[6] بندر رفيد العنزي، المرجع السابق ، ص37 .
[7] ساطع الحصري ، المرجع السابق ، 97 .

لحياته ألحقها بآخر الجزء السابع ، وذيل تاريخه بها، وهي فصل طويل عنوانه التعريف بابن خلدون ورحلته غربا و شرقا ، عني فيه ببعض الاختصار، وينتهي سنة 807ه/1405م من ترجمة حاله [1].

لقد عد هذا الكتاب من أهم المؤلفات في التاريخ فقد قدم له المؤلف بمقدمة جعلته من أشهر ما ألف في ميادين علم الاجتماع ، بل وفي صدارتها، وقد نهج في الكتاب منهجا اختلف فيه عن أي نهج لمن كتب في التاريخ من قبل [2].كما أن كتاب التعريف يعد نوعا آخرا من الدراسة التاريخية تتمثل في ترجمة المؤلف لنفسه، كما تحدث فيه عن جوانب تاريخية كثيرة متعلقة بعدة مناطق تنقل فيها، وعن مظاهرها الاجتماعية و السياسية و العلمية وعرض الجوانب العلمية لمسيرته، وهذا الكتاب هو ذخيرة لشخصية ابن خلدون المتعددة الألوان و الوجوه [3].

لباب المحصل في أصول الدين :

هو تلخيص لكتاب فخر الدين الرازي المعروف بابن الخطيب المتمثل في" محصل أفكار المتقدمين و المتأخرين من العلماء و الحكماء و المتكلمين" ذكره المقري في نفح الطيب، ولسان الدين ابن الخطيب في الإحاطة في أخبار غرناطة [4].وقد اشتهر هذا الكتاب في المشرق و المغرب على السواء فتداوله العلماء المشتغلون بأصول الدين، وأكثروا مدارسته وتدريسه للطلاب ، وتناولوه بالنقد أو التلخيص أو كليهما معا [5].وقد فرغ ابن خلدون من تأليف كتابه " لباب المحصل " في التاسع و العشرين من شهر صفر سنة 752 ه/1351م ، وقد كان عمره عند تأليفه تسعة عشرة سنة وستة أشهر وهو من أوائل مؤلفاته [6].

شفاء السائل في تهذيب المسائل : هو مؤلف عالج فيه قضايا التصوف ، وهو كما يؤكد بعض الباحثين الكتاب الخاص بالكلام عن التصوف ويحتوي على ستة فصول ويتألف من 93 صفحة، أصدرته المطبعة الكاثوليكية في لبنان.

وصف بلاد المغرب : هو عبارة عن كراسات مفقودة، لكن قيل أنها تتضمن الناحية الجغرافية و الأحوال الاجتماعية ، يحتوي على 12 كراسة ، كتبها لتيمور لنك يطلب منه الاطلاع على المغرب العربي [7].

مؤلفات أخرى :

---

[1] بندر رفيد العنزي ، المرجع نفسه ، ص 38 .
[2] محبوب الزاوي و علي عبد الرحمان لجدل ، المرجع السابق ، ص 52.
[3] فردوس نور علي حسين ، ابن خلدون شاعرا ، دار الفكر العربي ، مصر ، د ط ، 2000 ، ص 40 .
[4] بندر رفيد العنزي ، المرجع السابق ، ص 39.
[5] فردوس نور علي حسين ، المرجع السابق ، ص 40 .
[6] أمال غماري و فتيحة عمرون ، المرجع السابق ، ص 26 .
[7] محمود شارف ، التفكير العلمي الخلدوني، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الفلسفة، جامعة ورقلة، الجزائر، 2015/2016 ، ص 25 .

يذكر ابن الخطيب في ترجمته البن خلدون إثباتا لأثاره فيقو ل لنا انه شرح البردة شرحا بديعا، ولخص كثيرا من كتب ابن رشد، وعلق للسلطان "يقصد به ابن الأحمر أيام نظره في العقليات تقييدا مفيدا في المنطق، ولخص محصل الإلمام فخر الدين الرازي، وألف كتابا في الحساب، وشرح الرجز الصادر عني في أصول الفقه بشيء لا غاية فوقه من الكمال [1].

ويعلق الأستاذ عنان هنا بقوله : (كتب ابن الخطيب هذه الترجمة قبل أن يضع ابن خلدون مؤلفه التاريخي بأعوام كثيرة . ولذا لم يذكر في هذا الثبت ، ولم يصل لنا من تلك الآثار أو الوسائل التي ذكرها ابن الخطيب سوى اثر واحد ويقصد به لباب المحصل) [2].

يعد ابن خلدون أيضا من قبيل الشعراء المجيدين للشعر، ولكن انكبابه على مدارسة العلوم ، وقلة غدو قريحته ورواحها على النظم أعاقه على أن يبلغ في إتقان نسجه و الإبداع في فنون التخيل مبلغ المشهود لهم في هذه الصناعة ، فعالج ابن خلدون الشعر و نظم عدة قصائد في صباه وشبابه و ظل يمارسه إلى أن بلغ منتصف العقد الخامس من عمره [3]، ثم تفرق للعلم و التأليف ويذكر ابن خلدون ثالث مراحل مر بها خلال مسيرته الشعرية:

المرحلة الأولى : مرحلة البدا في قول الشعر : حيث نجد ذلك في مطلع قصيدته التالية:

على أي حال لليالي أعاتب * * * وأي صروف للزمان أغالب [4]

حيث قدم هذه القصيدة في أواخر سنة 759 ه/1385م إلى السلطان أبي عنان وهو في السجن .

المرحلة الثانية : مرحلة المراس و الإجادة تمثلها قصائد قالها منذ تولية السلطان أبي سالم ابن السلطان أبي الحسن حين استعمله لكتابة سره و إنشائه واستمرت شاعريته في التدفق خلال حياته في مملكة غرناطة في الأندلس، وقد وصف شعره في أيام نزوله عند بني الأحمر في حفاوة ونجاح .

المرحلة الثالثة : مرحلة تركه للشعر واتجاهه للعلم و اشتغاله بإخراج مؤلفاته ذلك حينما عاد إلى وطنه الأصلي تونس، وعاش زمنا في رحاب سلطانها، ولما رفع له الكتاب (نسخة من كتاب العبر) انشده قصيدة امتدحه فيها، وذكر سيرته وفتوحاته واعتذر عن انتحال الشعر .واستعطفه بهدية الكتاب إليه ومطلعها :

هل غير بابك للغريب مؤمل * * * أو عن جنابك للاماني معدن .

وبلغت هذه القصيدة نحو مئة بيت [1].

---

[1] محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت ، لبنان،ج6 ، ص180.
[2] محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص 146 .
[3] علي عبد الواحد الوافي ، عبقريات ، ص 171 .
[4] فردوس نور علي حسين ، المرجع السابق ، ص 43- 51 .

ومن أجود شعره وأعاله مطلعا في البالغة، قوله من قصيدة يهنئ بها أبا حمو بعيد الفطر

هذي الديار فحيهن صباحا * * * وقف المطايا بينهن طلاحا

قد تعرض الشيخ ابن حجر لشعر ابن خلدون كما ورد في كتاب عبد الواحد وافي "عبقريات ابن خلدون " وقال أنه لم يكن ماهرا في النظم ، وكان يبالغ في كتمانه ، مع انه كان جيدا لنقد الشعر، إلا أن ابن خلدون يرى أن سبب قصوره في نظم الشعر يرجع إلى كثرة ما حفظه في صباه من المتون المؤلفة في أشعار ركيكة . مهما يكن من شيء بشان منزلة ابن خلدون بين الشعراء، فان ما تقدم كاف في الدلالة على أن هذا المؤرخ لم يغادر أي ميدان من ميادين الأدب إلا ضرب فيه بسهم، ولا حلبة من حلباته إلا اشترك مع فرسانها في السباق[2] .

[1] فردوس نور علي حسين ، المرجع السابق ، ص 53 .
[2] علي عبد الواحد وافي ، عبقريات ، ص 171 .

الفصل الثاني : رحلات ابن خلدون

1/ الرحلة إلى المغرب

2/ الرحلة إلى الأندلس .

3/ الرحلة من الأندلس إلى بجاية .

4/ العودة للمغرب الأقصى ثم إلى الأندلس

5/ الرحلة إلى المشرق وتوليه القضاة في مصر .

1/ الرحلة إلى المغرب :

لم يستطع ابن خلدون أن يكمل دراسته وتعليمه في تونس ،وذلك بسبب الطاعون وهجرة العلماء منها [1]، السبب الذي كان علامة بارزة ونقطة تحول في حياة ابن خلدون، فقد تولد لديه شعور بان ثمة انقلابا طرأ على الكون ما دفعه إلى التفكير في كتابة التاريخ، و قد تنامى هذا الشعور بعد دخول العرب الهلاليين إلى بلاد المغرب منذ أواسط القرن الخامس هجري (الحادي عشر ميلادي) ، و كان هذا الحدث الأخير بمثابة اختلال في التوازن الاجتماعي نتيجة لابتلاع بربر زناته من قبل عرب بني هلال [2].

لهذا أخذ يتطلع إلى تولى الوظائف الحكومية العامة [3]، والسير في الطريق الذي سار فيه أجداده فشغل ذلك أكبر قسط من وقته ونشاطه في أثناء فترة علمه والتي استغرقت زهاء خمسة وعشرين سنة من حياته .

ويبدو أن هذه الأمور لم تكن لتشبع طموحاته واستعداداته الحقيقية في شيء و أنه قد دفع إليها دفعا و اضطر لخوض غمارها اضطرارا عن غير حب ولا رغبة ، ومن أجل ذلك كان يتحين الفرص التي كانت تتاح له أثناء هذه المرحلة ، ليعاود القراءة و الإطلاع وتلقى العلم وتدريسه ، ويرضي بذلك الرغبة الكامنة في نفسه وهي رغبة عميقة امتازت بها شخصيته الحقيقة [4].

وفي هذا بقول عبد الرحمان ابن خلدون عن نفسه :" لم أزل منذ نشأت ، وناهزت مكبا على تحصيل العلم، حريصا على اقتناء الفضائل، متنقلا بين دروس العلم وحلقاته إلى أن كان الطاعون الجارف ، وذهب بالأعيان ، والصدور، وجميع المشيخة ، وهلك أبواي ، رحمهما الله [5]".

يخبرنا في التعريف انه قد لزم شيخه الآبلي بعد الطاعون لمدة ثالث سنين، و إن كان ابن خلدون قد اتجه إلى ممارسة العمل بعد أن ارتحل شيخه الآبلي إلى السلطان أبي عنان، فهذا يعني انه قد قطع كل صلة له بالدراسة، فابن خلدون لم يشغله عن اكتساب العلم تولي الوظائف العامة، بل كان مشدودا إلى النظر في شئون الحياة و اخذ العبر منها، ولم يكن حدث مثل الطاعون يمر على ابن خلدون دون أن يقف عنده متأملا ومعتبرا [6].

يذكر ابن خلدون بعد رحيل شيخه الآبلي عنه وبقول :"واستدعاني أبو محمد بن تافراكين ، المستبد على الدولة يومئذ بتونس ، إلى كتابة عن سلطانه أبي إسحاق . وقد نهض إليهم من

---

[1] عبد الرحمان ابن خلدون ، التعريف ، ص 55.
[2] غاستون بوتول، ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية، تر عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1995 ،ص11.
[3] علي عبد الواحد وافي ، المرجع السابق ، ص 22.
[4] هاني محمد أبو شنب ، ابن خلدون فقيه ، رسالة تخرج ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، 2012-2013، ص 60.
[5] عبد الرحمان ابن خلدون ، التعريف ، ص 55.
[6] فيروز عثمان صالح، النشاط السياسي و العلمي عند ابن خلدون في شمال إفريقيا، مجلة دراسات دعوية العدد39 ، ص7.

قسنطينة صاحبها الأمير أبو زيد ، حافد السلطان أبي يحي في عساكره ، ومعه العرب أولاد مهلهل الذين استنجدوه لذلك ، فأخرج ابن تافراكين سلطانه أبا إسحاق مع العرب ، أولاد أبي الليل ، وبث العطاء في عسكره وعمر له المراتب والوظائف"[1].

وقد عبق ذكره في حضرة السلطان أبي عنان، وقد جعل هذا السلطان بعد عوده إلى فاس يؤلف من جلة العلماء مجلسا حافلا، فاستدعاه من بجاية سنة 755ه فأكمل به نظام مجلسه العلمي، واختاره للكتابة والتوقيع بين يديه. قال ابن خلدون: "فتحملت هذا العمل على كره مني؛ إذ كنت لم أعهد مثله لسلفي" [2].

حظي ابن خلدون لدى أبي عنان وارتقى في دولته مكانًا علي فأخذ حر الحسد يلفح قلوب بعض منافسيه، فأخذوا يبيّتون له المكايد، وينصبون له شرك السعاية، حتى استطاعوا أن يدخلوا إلى إفساد قلب السلطان عليه من باب السياسة؛ إذ رموه بالدخول في مؤامرة مع الأمير محمد صاحب بجاية. ولتهمة الائتمار على نقض شيء مما تبنيه يد الدولة سهام لا تكاد تخسأ، إذا لم تصبَ المقَاتل أوهت العظم وقلقلت الحشا وسلبت الأجفان نومتها الهادئة، وبالأحرى حيث لم تكن قضاياها مما يوكل إلى اجتهاد محكمة عادلة، وإنما ينفرد بسماع بلاغها ويستبد بتقدير عقوبتها أحد الخصمين الذي هو الرئيس الأعلى[3].

انطلت تلك التهمة على فكر أبي عنان فقبض على ابن خلدون والأمير محمد وزجهما في السجن. وكانت هذه النكبة أول ما لقيه ابن خلدون من بلاء السياسة، وأيقن بها أن إقبال الدولة سرعان ما ينقلب إدبارا، وأن عزا تبنيه للرجل صباحا قد يأتي عليه المساء، فإذا هو الدرك الأسفل من الهوان .ثم إن السلطان أطلق سبيل الأمير محمد، وترك ابن خلدون يقاسي شدة الحبس ويتجرع مرارة المحنة، حتى التجأ في استعطافه وجلب مرضاته إلى وسيلة الشعر والمديح وخاطبه بالقصيدة التي يقول في طالعها:

على أي حال لليالي أعاتب وأي صروف للزمان أغالب [4]

ومنها في التشوق :

سلوتهم إلا ادكار المعاهد لها في الليالي الغابرات غرائب

وهي طويلة نحو مائتي بيتا [5].

---

[1] عبد الرحمان ابن خلدون ، التعريف ، ص 56 .
[2] عبد الرحمان ابن خلدون ، التعريف ، ص 65 .
[3] محمد الخضر السيد ، حياة ابن خلدون ومثل من فلسفته الاجتماعية ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، مصر ، د ط ، 1925، ص14.
[4] عبد الرحمان ابن خلدون ، التعريف، مرجع سابق ، ص 65.
[5] أبي الوليد إسماعيل ابن الأحمر ، أعلام المغرب و الأندلس في القرن الثامن المسمى نثير الجمان ، تح محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1987، ص 117-123.

فكان لها منه موقع ، وهش لها ، وكان بتلمسان فوعد بالإفراج عنه عند حلوله بفاس ، ولخمس ليالي من حلوله طرقه الوجع . وهلك خمس عشر ليلة ، في رابع وعشري من ذي الحجة خاتم تسع وخمسين [1].

وبعد مهلك السلطان بادر الوزير الحسن بن عمر إلى إطلاق سراح ابن خلدون من الاعتقال، وخلع عليه من الإكرام بردا ضافيًا، وأعاد إليه ما كان يتقلده من أعمال الدولة .وعندما استلم السلطان أبو سالم زمام الملك استعمل ابن خلدون على كتابة سره، وألقى إليه الأمر في إنشاء مخاطباته، فعدل بالإنشاء عن طريقة التسجيع وأخذ به في طريق الترسل فكانت هذه المزية من أسباب تفوقه وإحرازه قصب السبق في حلبة البيان والتحرير[2].

لما وقع زمام الحكم في قبضة الوزير عمر بن عبد الله وكانت بينه وبين ابن خلدون قبل توليه أمر الدولة مودةٌ وصحبة، فأقره على ما كان يتولاه من العمل وزاد في جرايته . وكان ابن خلدون يطمح بطغيان الشباب إلى غاية أسمى مما يتولى من الأعمال. ولما لاح له أن الوزير أخل بعهد الصحبة أخذه الاستياء من تقصريه إلى أن انقطع عن دار السلطان وهجرها؛ إدلالا بسابق المودة، ولكن منصب الوزارة أنسى عمر بن عبد الله أن من أساليب عتب الأصدقاء وتذكريهم بحق أغمضوا عنه هجرهم من غير جفاء، وصرف القدم عن زيارتهم لا عن ملل[3].

ولم يشأ منصب الوزارة إلا أن يفهمه أن تقاعد ابن خلدون عن مقر السلطان زلة جره إليها تعاظمه وقلة وفائه بما يستحق مقام الرياسة العليا من إكبار وخضوع، فبدلاَ من أن يرعى الوزير مقام الصداقة ويجعله أرفع مكانًا وأقوى سلطانًا من مقام الرياسة، أخذته نخوة السلطة، وقابل هجر العتاب والإدلال بهجر الجفاء والتقاطع . ولما رأى ابن خلدون منه التنكر استأذنه في العود إلى إفريقية [4]، فلم يجز له ذلك وشدد في منعه حتى دخل عليه يوم عيد الفطر وخاطبه بقصيدة يقول في مطلعها :

هنيئا لعيد لا عداه قبولُ وبشرى لعيد أنت فيه منيل .

فحلت هذه القصيدة عقده من إبائه أذن له بالانطلاق على شريطة العدول عن تلمسان ، في أي مذهب أراد ، فاختار الأندلس وصرف ولداه و أمهم إلى أخوالهم ، أولاد القائد محمد بن الحكيم ب قسنطينة ، فاتح أربع وستين ، وجعل طريقه على الأندلس ، وكان سلطانها المخلوع ، حين وفد على السلطان أبي سالم بفاس ، وأقام عنده حصلت له معه سابقة وصلة ووسيلة خدمة ، من جهة وزيره أبي عبد الله بن الخطيب ، وما كان بينهما من صحابة ، فكان يقوم بخدمته ، و اعتمل في قضاء حاجاته في الدولة . ولما أجاز باستدعاء الطاغية لاسترجاع ملكه ، حين فسد

[1] عبد الرحمان ابن خلدون ، التعريف ، ص 70.
[2] حسين عبد الله بانبيله ، ابن خلدون وتراثه التربوي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1، 1984 ، ص 44 .
[3] عبد الرحمان ابن خلدون ، التعريف ، ص 70 .
[4] محمد الخضر السيد ، المرجع السابق ، ص 12-13.

مابين الطاغية وبين الرئيس المتوثب عليه بالأندلس من قرابته ، خلفته فيمن ترك من عياله وولده بفاس ، خير خلف في قضاء حاجاتهم و إدراري أرزاقهم ، من المتولين لها والاستخدام لهم ، ثم فسد مابين الطاغية وبينه .ففارقه إلى بلد المسلمين ونزل بأسجة وكتب إلى عمر بن عبد الله يطلب مصرا ينزله ، من أمصار الأندلس الغربية ، وخاطب ابن خلدون في ذلك فكان له نعم الوسيلة عند عمر حتى تم قصده من ذلك وتجافى عن رندة و أعمالها فنزلها وتملكها وكانت دار هجرته وركاب فتحه ، واستوحشت هو من عمر إثر ذلك كما مر . وارتحل إليه معولا على سوابقه عنده فغرب في المكافأة[1] .

[1] عبد الرحمان ابن خلدون ، التعريف ، ص 80-82.

2/ الرحلة إلى الأندلس :

يذكر بن خلدون في هذا ويقول : " ولما أجمعت الرحلة إلى الأندلس بعثت بأهلي وولداي إلى أخوالهم ب قسنطينة وكتبت لهم إلى صاحبها السلطان أبي العباس من حفدة السلطان أبي يحي أني أمر على الأندلس و أجيز إليه من هنالك . وسرت إلى سبتة فرضة المجاز وكبيرها يومئذ الشريف أبو العباس أحمد بن الشريف الحسني ، ذو النسب الواضح السالم من الريبة عند كافة أهل المغرب " [1]، انتقل سلفه إلى سبتة من صقلية و أكرمهم بنو العزفي أولا وصاهروهم ، ثم عظم صيتهم في البلد فتنكروا لهم وغربهم يحي العزفي آخرهم إلى الجزيرة فاعترضتهم مراكب النصارى في الزقاق فأسروهم وانتدب السلطان أبو سعيد إلى فديتهم رعاية لشرفهم ، فبعث إلى النصارى في ذلك فأجابوه وفادى هذا الرجل وأباه على ثلاثة ألاف دينار ورجعوا إلى سبتة وانقرض بنو العزفي ودولتهم وهلك والد الشريف وصار هو ورياسة الشورى . ولما كانت واقعة القيروان وخلع أبي عنان أباه ، واستولى على المغرب وكان ب سبتة عبد الله بن علي الوزير واليا من قبل السلطان أبي الحسن فتمسك بدعوته ومال أهل البلد إلى السلطان أبي عنان وبث فيهم الشريف دعوته فثاروا بالوزير و أخرجوه ووفدوا على أبي عنان و أمكنوه من بلدهم فولى عليها من عظماء دولته سعيد بن موسى العجيسي كافل تربيته في صغره و أفراد هذا الشريف برياسة الشورى في سبتة فلم يكن يقطع الأمر دونه [2].وحططت بجبل الفتح ، ثم خرجت منه إلى غرناطة وكتبت إلى السلطان ابن الأحمر ووزيره ابن الخطيب بشأني وليلة بت بقرب غرناطة على بريد منها لقيني كتاب ابن الخطيب يهنئني بالقدوم ويؤنسني ، ونصه :

حللت حلول الغيث بالبلد المحل على الطائر الميمون والرحب والسهل

يمينا بمن تعنوا الوجوه لوجهه من الشيخ والطفل المهدأ والكهل [3]

ثم أصبحت من الغد قادما على البلد وذلك ثامن ربيع الأول عام أربعة وستين وقد اهتز السلطان لقدومي وهيأ لي المنزل من قصوره بفرشه وماعونه ،وأركب خاصته للقائي تحفيا وبرا ومجازا بالحسنى ثم دخلت عليه فقابلني بما يناسب ذلك وخلع عليا و انصرفت . وخرج الوزير ابن الخطيب فشيعني إلى مكان نزلي ثم نظمني في علية أهل مجلسه واختصني بالنجي في خلوته والمواكبة في ركوبه والمواكلة والمطايبة والفكاهة في خلوات أنسه و أقمت على ذلك عنده وسفرت عنه سنة خمس وستين إلى الطاغية ملك قشتالة يومئذ بطره بن الهنشه ابن أذفونش لإتمام عقد الصلح ما بينه وبين ملوك العدوة بهدية فاخرة من ثياب الحرير ، والجياد المقربات بمراكب الذهب الثقيلة ، فلقيت الطاغية باشبيلية .

[1] عبد الرحمان ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 80-82 .
[2] محمد الخضر السيد ، المرجع السابق ، 13 .
[3] عبد الرحمان ابن خلدون ، التعريف ، ص 83.

ولما استقر و اطمأنت الدار ، وكان من السلطان الاغتباط والاستئثار وكثر الحنين إلى الأهل والتذكار ، أمر باستقدام أهله من مطرح اغترابهم ب قسنطينة فبعث عنهم من جاء بهم إلى تلمسان . و أمر قائد الأسطول بالمرية فسار لإجازتهم في أسطوله واحتلوا بالمرية . واستأذن السلطان في تلقيهم وقدم بهم على الحضرة بعد أن هيأت لهم المنزل والبستان ودمنة الفلح وسائر ضرورات المعاش [1].

وحاز ابن خلدون لدى ابن الأحمر رعاية ضافية، فجاش الحسد في نفوس بعض معاديه، طفقوا يسرون لابن الخطيب ما يزلزل ركن الصداقة بينه وبين ابن خلدون؛ حتى اغبرَّ صدره، وبدا عليه انقباض أحس به ابن خلدون[2]، فجعل وجه البلاد في عينه قاتما، ولم يسعه بعد تنكر ابن الخطيب — وهو القابض على مقاليد الدولة — إلا أن يعتزم على الرحلة، واتفق أن وافته كتب من أبي عبد الله صاحب بجاية يستدعيه للقدوم عليه، فاتخذها ذريعة لاستئذان السلطان في الانصراف إلى إفريقية دون أن يطلعه على ما كان بينه وبين ابن الخطيب إبقاء لمودته ، فارتمض لذلك ولم يسعه إلا الإسعاف فودع وزود [3]، وكتب له مرسوم بالتشييع من إملاء وزير ابن الخطيب نصه :

هذا ظهير كريم ، تضمن تشييعا وترفيعا وإكراما و إعظاما ، وكان لعمل الصنيعة ختاما ، وعلى أحسن تماما ، و أشاد للمعتمد به بالاغتباط الذي راق قساما وتوفر أقساما ، و أعلن له بالقبول إن نوى بعد النوى رجوعا أو آثر على الظعن المزمع مقاما [4].

أمر به ، و أمضى العمل بمقتضاه وحسبه ، الأمير عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر ، أيد الله أمره و أعز نصره و أعلى ذكره للولي الجليس الحظي المكين ، المقرب الأود الأحب الفقيه الجليل ، الصدر الأوحد الرئيس العلم الفاضل الكامل المرفع الأسمى الأظهر الأرضى الأخلص الأصفى ، أبي زيد عبد الرحمان ابن الشيخ الجليل الحسيب الأصيل ، الفقيه المرفع المعظم الصدر الأوحد الأسمى الأفضل الأكمل الموقر المبرور ، أبي يحي أبي بكر ابن الشيخ الجليل الكبير ، الرفيع الماجد القائد الحظي المعظم الموقر المبرور المرحوم أبي عبد الله بن خلدون وصل الله له أسباب

السعادة و بلغه من فضله أقصى الإرادة أعلن بما عنده ، أيده الله من الاعتقاد الجميل في جانبه المرفع و إن كان غنيا في الإعلان و أعرب عن معرفته بمقداره ، في الحسباء العلماء الرؤساء الأعيان و أشاد باتصال رضاه عن مقاصده البرة وشيمه الحسان من لدن وفد بابه وفادة العز الراسخ البنيان و أقام المقام الذي عين له رفعة المكان و إجلاء الشأن إلى أن عزم على قصد

[1] عبد الرحمان ابن خلدون ، التعريف ، مرجع سابق ، ص 84-85.
[2] أمال غماري و فتيحة عمرون ، المرجع السابق ، ص 23.
[3] عبد الرحمان ابن خلدون ، التعريف ، 84.
[4] أسامة عبد الحميد حسين السامرائي ، تاريخ الوزارة في الأندلس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1971 ، ص 186.

وطنه أبلغه الله ذلك في ظل اليمن و الآمان وكفالة الرحمن بعد الاغتباط المربى على الخبر بالعيان ، والتمسك بجواره بجهد الإمكان [1].

ثم قبول عذره بما جلبت الأنفس عليه من الحنين إلى المعاهد و الأوطان وبعد أن لم يذخر عنه كرامة رفيعة ولم يحجب عنه وجه صنيعة فولاه القيادة والسفارة و أحله جليسا معتمدا بالاستشارة وألبسه من الحظوة والتقريب أبهى الشارة ، وجعل محله من حضرته مقصودا بالمثل معنيا بالإشارة ثم أصحبه تشييعا يشهد بالضنانة بفراقه ويجمع له بر الوجهة من جميع آفاقه ويجعله بيده رتيمة خنصر ووثيقة سامع أو مبصر فمهما لوى أخدعه إلى هذه البلاد بعد قضاء وطره وتمليه من نهمة سفره أو نزع به حسن العهد وحنين الود فصدر العناية به مشروح وباب الرضا والقبول مفتوح وما عهده من الحظوة والبر ممنوح [2]. فما كان القصد في مثله من أمجاد الأولياء ليتحول ولا الاعتقاد الكريم ليتبدل ولا الأخير من الأحوال لينسخ الأول على هذا فليطو ضميره وليرد متى شاء نميره ومن وقف عليه من القواد و الأشياخ والخدام برا وبحرا على اختلاف الخطط والرتب وتباين الأحوال والنسب أن يعرفوا حق هذا الاعتقاد في كل ما يحتاج إليه من تشييع ونزول و إعانة وقبول واعتناء موصول إلى أن يكمل الغرض ويؤدى من امتثال هذا الأمر الواجب المفترض بحول الله وقوته [3].

[1] محمد الخضر السيد ، المرجع السابق، ص 15-16.
[2] عبد الرحمان ابن خلدون ، التعريف ، ص 85 .
[3] محمد الخضر السيد ، المرجع نفسه ، ص 16 .

3/ الرحلة من الأندلس إلى بجاية:

كانت بجاية ثغرا لإفريقية في دولة بني أبي حفص من الموحدين ، ولما صار أمرهم للسلطان أبي بكر بن يحي منهم ، واستقل بملك إفريقية ولى في ثغر بجاية ابنه الأمير أبا زكرياء ، وفي ثغر قسنطينة ابنه الأمير أبا عبد الله وكان بنو عبد الواد ملوك تلمسان والمغرب الأوسط ، ينازعونه في أعماله ويجمرون العساكر على بجاية ويجلبون على قسنطينة ، إلى أن تمسك السلطان أبو بكر بذمة من السلطان أبي الحسن ، ملك المغرب الأقصى من بني مرين وله الشفوف على سائر ملوكهم [1]. وزحف السلطان أبو الحسن إلى تلمسان فأخذ بمخنقها سنتين أو أزيد ، و ملكها عنوة وقتل سلطانها أبا تاشفين وذلك سنة سبع وثلاثين وخف ما كان على الموحدين من إصر بني عبد الواد واستقامت دولتهم ثم هلك أبو عبد الله محمد ابن السلطان أبي يحي ب قسنطينة سنة أربعين وخلف سبعة من الولد ، كبيرهم أبو زيد عبد الرحمان ثم أبو العباس أحمد فولى الأمير أبا زيد مكان أبيه في كفالة نبيل مولاهم . ثم توفى الأمير أبو زكرياء ببجاية سنة ست وأربعين ، وخلف ثلاثة من الولد كبيرهم أبو عبد الله محمد ، وبعث السلطان أبو بكر ابنه الأمير أبا حفص عليها فمال أهل بجاية إلى الأمير أبي عبد الله بن أبي زكرياء وانحرفوا عن الأمير عمر و أخرجوه [2].

سافر ابن خلدون إلى بجاية سنة 766ه ،وأقيمت له يوم مقدمه حفلة مشهودة، فأركب السلطان خاصته لاستقباله، وهرع إليه أهل البلد بنفوس متعطشة إلى لقائه، وانهالوا يمسحون أعطافه ويلثمون يده. فاجتمع له في هذا الاحتفال إقبال الدولة وانعطاف الأمة، وهما لا يجتمعان لشخص بانتظام إلا حيث تكون الدولة رشيدة، وإذا كانت الدولة قد تقبل على غير عظيم، فإن الأمة لا تخلع عطفها وإجلالها إلا على من تقدر عظمته وتثق بإخلاصه [3].

تقلد ليوم خلا من قدومه منصب الحجابة، وهي لدى دول المغرب: الاستقلال بإدارة شئون الملك، والانفراد بالوساطة بني السلطان وبني أهل دولته. بيد أنه استلم زمام السياسة بعد أن نشأت بين السلطان أبي عبد الله وابن عمه أبي العباس صاحب قسنطينة فتنة نفدت التدابير دون إطفائها، وما برحت تتأجج إلى أن كانت عاقبتها قتل أبي عبد الله، واستيلاء أبي العباس على بجاية [4].

خرج ابن خلدون باسطا يد الطاعة إلى أبي العباس ولقي منه احتفاءً وإنعاما، وسرعان ما انكفأت عقارب السعاية به تدب حول السلطان فلم ينشب أن استأذنه في الانصراف فاستجاب إلى

---

[1] عبد الرحمان ابن خلدون ، التعريف ، ص 98.
[2] محمد الخضر السيد ، المرجع السابق ، ص 17 .
[3] أمال غماري و فتيحة عمرون ، المرجع السابق ، ص 23.
[4] محمد الخضر السيد ، المرجع السابق ، ص 16.

طلبه بعد تمنع وارتحل حتى عرج على بسكرة لصحبة كانت بينه وبين أمريها أحمد بن يوسف بن مزني [1].

وما كان يُمتحن به ويقاسيه من مشاكسة المنافسين له في مقاعد الرياسة ونصبهم حبائل السعاية به، ثم تنكر السلطان له بعد الرعاية والإقبال صرف قلبه عن التعلق بأسباب السياسة، وجعله يفرغ همته في تحقيق العلوم ودراستها. ومن أجل هذا قعد عن السفر إلى أبي حمو صاحب تلمسان حين استدعاه ليقلده الحجابة وكتابة العلامة وكتب بخطه مدرجة [2]في الكتاب نصها :

الحمد لله على ما أنعم ، والشكر لله على ما وهب ، ليعلم الفقيه المكرم أبو زيد عبد الرحمان بن خلدون حفظه الله ، على أنك تصل إلى مقامنا الكريم ، لما اختصصناكم به من الرتبة المنيعة والمنزلة الرفيعة وهو قلم خلافتنا و الانتظام في سلك أوليائنا أعلمناكم بذلك . وكتب بخط يده عبد الله المتوكل على الله موسى بن يوسف لطف الله به وخار له [3].

لكن ابن خلدون وجه إليه أخوه يحي ليقوم بعمل هذه الوظيفة مكانه [4].

بعث إليه الوزير ابن الخطيب من غرناطة برسائل نصها :

بنفسي وما بنفسي على بهينة فينزلني عنها المكاس بأثمان

حبيب نأى عني وصم لأنتي وراش سهام البين عمدا فأصمان [5]

وكان يشكو فيها مضض النوى ويتلهف على عهد اللقاء .وقلوب الأصدقاء قلما تتصدع بحزازات الوشاية وتعود إلى عنفوان ودها الصميم، ولكن الرقة الدافقة على ذوق ابن الخطيب، والأدب المنسجم في مزاج خلقه الرصين، ذهبا بأثر ما سعى به إليه قوم لا يفقهون، ونهضا به إلى تأكيد صداقة انتظمت بينه وبين رجل يدانيه علما وأدبًا، ويضاهيه في طرق التفكير والعمل لرقي نظام الاجتماع .وإذا كانت الرسائل مثالا لمنهج الرجلين في المحاورة ساعات اللقاء، فإن هذه المراسلة تنبئك أن المجالس التي كانت تعقد بين هذين الوزيرين الخطيرين لم تكن مضمار علم وأدب فقط، بل كانت ممتعة بالنظر في الشؤون السياسية الداخلية والخارجية، فقد أتى ابن الخطيب في بعض هذه الرسائل على تفاصيل من أحوال الدولة بغرناطة، وألم فيها بأنباء عن دولة الإسبان في اشبيلية. وكذلك تجد ابن خلدون تعرض في الجواب عن تلك الكتب لحوادث دول شتى، فنسق فيها قسطا من الحديث عن شئون دول تونس والجزائر والمغرب الأقصى والحجاز ومصر. ولو أن علماء الإسلام أخذوا في هذا السبيل أينما كانوا، ومدوا جانبا من

[1] أمال غماري و فتيحة عمرون ، المرجع السابق ، ص 23.
[2] حسين عبد الله بانبيله ، المرجع السابق ، ص 44.
[3] عبد الرحمان ابن خلدون ، التعريف ، ص 99 .
[4] محمد الخضر السيد، المرجع السابق ، ص 17 .
[5] عبد الرحمان ابن خلدون ، التعريف ، ص 100.

عنايتهم إلى الاطَلاع على تصاريف الدول ومجاري سياستها لبلغوا منتهى السؤدد، وبرءوا من تبعة وقوع الشعوب الإسلامية في هذا البلاء المبين[1].

قام ابن خلدون في بسكرة مقبلا على دراسة العلم[2]، ولم ينكث يده مع ذلك من التدخل في شئون الدولة، فكان يشايع أبا حمو صاحب تلمسان حني نهض يجلب بخيله ورجله على بجاية، فكان وسيلة إلى توثيق عرى الصلة بينه وبين السلطان أبي إسحاق صاحب تونس، وحمل بعض القبائل على مناصرته حتى سار إليه بطائفة من قبيل الذواودة، والتقى به في البطحاء، ثم قفل معه راجعا إلى تلمسان؛ إذ بلغ أبا حمو أن السلطان عبد العزيز صاحب المغرب الأقصى يتحفز للوثوب على تلمسان، وملا اقتربت ساعة استيلائه عليها وأخذ أبو حمو في أهبة الانجلاء عنها إلى الصحراء اعتزم ابن خلدون على الارتحال إلى الأندلس، وحمله أبو حمو رسالة إلى ابن الأحمر صاحب غرناطة فاتصل نبأ سفره بالسلطان عبد العزيز، ونمي إليه أنه يحمل وديعة إلى ابن الأحمر فأنفذ إليه سرية اعترضت سبيله فلم تلق عنده ما يحقق هذه التهمة، وانقلبت به إلى السلطان فلقيه حوالي تلمسان فقضى ليلته في اعتقال، وفي الغد أطلق سبيله فانصرف إلى رباط الشيخ أبي مدين، ونزل بجواره على قصد التفرغ للعلم ونثر دره الشائقة بين يدي طلابه[3].

[1] محمد الخضر السيد ، المرجع السابق ، ص 17.
[2] حسين عبد الله بانبيله ، المرجع السابق ، ص 44.
[3] محمد الخضر السيد ، المرجع السابق ، ص 18 .

4/ العودة إلى المغرب الأقصى ثم إلى الأندلس :

ولم يزل متمتعا بحياة علمية خالصة حتى استدعاه السلطان عبد العزيز،يقول ابن خلدون في هذا : " فاستدعاني لوقته ، وارتحلت من بسكرة بالأهل والولد في يوم المولد الكريم سنة أربع وسبعين متوجها إلى السلطان وقد طرقه المرض " [1] ، فانبعث يعمل في هذا السبيل بكلمة نافذة ودعاية ناجحة إلى أن قضى المأرب وبلغ الغاية المنشودة، وكان يسعى إلى هذه المهمة السياسية وهو مقيم ببسكرة في جوار أمريها أحمد بن يوسف بن مزني الذي هو صاحب زمام رياح، وما راع ابن خلدون إلا أن أخذ حساده ينفثون سموم الوشاية في أذن أحمد بن مزني فهاجوا غيرته وأوغروا صدره حتى تنفَّس بالشكوى منه إلى صاحب شورى السلطان وترمار بن عريف ورفع صاحب الشورى هذه الشكوى إلى السلطان[2]، فما كان من نظره إلا أن استدعى ابن خلدون إلى حاضرة فاس، فخرج بأهله وولده. ولقيه في الطريق نعي السلطان وتولية ابنه الصبي أبي بكر السعيد في كفالة الوزير أبي بكر بن غازي، فدخل فاس، وكان له مع الوزير سابق صحبة فأدر عليه من معصرات بره وكرامته فوق ما يحتسب، وظل عاكفا على التدريس صارفا همته إلى الوجهة العلمية إلى أن ظهر السلطان أحمد بن أبي سالم على الوزير أبي بكر بن غازي واجتذب مقاليد الأمر من يده، ولم يستقر به الحال حتى قام وزيره محمد بن عثمان يدخل عليه الريبة من جانب ابن خلدون ويغريه بالقبض عليه. وما هذا الوزير بأول من ازدهت به الرياسة وتطوحت به في غرور حتى عمي عليه أن لأعاظم الرجال كابن خلدون تاريخا باقيا، وصحائف لا تغادر صغيرة ولا كبيرة من مجاملة أهل عصره له،أو إساءتهم إلا أحصتها .[3]

قبض عليه السلطان ابن أبي سالم، وسرعان ما نهض إلى خلاصه الأمير عبد الرحمن الذي شارك السلطان في حرب الوزير أبي غازي، واتفق معه على أن يستقل بولاية مراكش وأعمالها، ولم يطمئن به المقام بعد أن رأى من تنكر السلطان وسوء طوية وزيره ما رأى، فابتغى الوسيلة إلى إذن السلطان له بالانصراف إلى الأندلس؛ ليتفرغ للعلم ومدارسته في ظل دولة ابن الأحمر الذي أولاه في رحلته الأولى سابغ الكرامة والإنعام، ولم يظفر بالجواز إلا بعد تسويف وعلى رغم من وزيره ورجال دولته .دخل الأندلس سنة 778 فجرى السلطان على عادته من بسط يد الإكرام، وإنزاله منزلة الاحتفاء والرعاية إلى أن وفد على غرناطة مسعود بن ماسي من حاضرة فاس وأبلغ السلطان بإغراء من رجال دولتها أن ابن خلدون كان يبذل مساعيه وجاهه في خلاص لسان الدين بن الخطيب، فانقلب عطف السلطان عليه جفاء، وأنسه به وحشة، وأجلاه إلى العودة من بلاد المغرب الأقصى [4].

---

[1] عبد الرحمان ابن خلدون ، التعريف ، ص 179.
[2] أمال غماري و فتيحة عمرون ، المرجع السابق ، ص 23 .
[3] محمد الخضر السيد ، المرجع السابق ، ص 19.
[4] محمد الخضر السيد، المرجع السابق ، ص 19.

وموضع العبرة في هذه الواقعة أنك تقارن بين عودتيه من الأندلس؛ فتجده في المرة الأولى قفل من غرناطةَ والسلطان يبسط له يد المجاملة ويودعه بقلب يأسف لفراقه، ثم هو متوجه نحو بجاية والدولة متأهبة لاستقباله بأجمل ما يتصور من مظاهر الاحتفاء .وتراه في هذه المرة انصرف عنها والسلطان يكره إقامته ويطوي عنه بساط أنسه، خرج وهو لا يدري أين يلقي عصا التسيار[1]؛ هذه دولة الأندلس تنفيه من أرضها، وتلك دولة المغرب الأقصى تلحظه بعني الحنق وترمي من ورائه بسهام الكيد والأذى، وهذا أبو حمو صاحب تلمسان لم يزل ينقم عليه مشايعته للسلطان عبد العزيز وسعيه في صرف وجوه العرب عنه يوم كان طريدا في الصحراء[2].

بيد أن أبا حمو كان على رِوية لا يفوتها أن الأخذ في معاملة رجل خطير كابن خلدون بالرفق والأناة إنما توضع في حساب الحسنات التي ينوه بها التاريخ ويرتقي بها شأن دولته، فسمح له بدخول تلمسان فجاءها وقد ذاق من صروف السياسة عذاب الهون[3]، فما كان إلا أن تجرد للقراءة، ولم يشغل وقته بسوى المذاكرة في العلم ودراسته [4].

وقد يكون انحراف الدولة عن النابغة أو اضطهادها له أشد داعية إلى بذله كل ما يملك من الجد والألمعية في توسيع دائرة معارفه أو الحذق في صناعة التأليف أو الاستنباط، فإن الكدر الذي قد يثريه تغابيها عن مكانه أو بخسها من قيمته إنما يكشفه ارتياح النفس وتمتعها باستطلاع حقائق العلوم التي هي أصفى لذة وأبقى سؤددا من نيل الحظوة والقرب من مجالس الأمراء.

ما برح ابن خلدون منقطعا لبث العلم حتى بدا لأبي حمو أن يبعثه سفيرا إلى الذواودة ليراوضهم إلى طاعته ويجمعهم على ولائه. فلبى طلبه في الظاهر، وخرج وهو يسر في نفسه أن لا يعمل لهذا السبيل بعلة أنه أصبح يعز عليه بذل شيء من أوقاته في غير الوجهة العلمية. ولعله سئم التدخل في السياسة التي قد تلتوي به مع أهواء الأمراء، وتحمله على أن يسعى في استنجاد القبيلة لمن كان يغريها عليه .ولما وصل إلى البطحاء ولى وجهه عن ناحية الذواودة جانبا وثنى عنانه إلى أولاد عريف، فأنزلوه بقلعة أولاد سلامة، وأقام بينهم أربع سنين في جو هادئ، وبيئة لا تجيش فيها مراجل الحسد، ولا تنفث فيها الوشاية سما ناقعا. وفي هذه السنين— التي كانت مهبط السكينة وصفاء الفكر وارتياح الضمير — شرع في تأليف تاريخه الفائق، ولذلك الحين أتم مقدمته على نسجها الحكيم، وتحقيقها البديع [5].

سل يده من كل شاغل، وألقم فكره ثدي الاستنتاج والتفقه في المقاصد العلمية والشئون العمرانية حتى بلغ في مجالها شأو لا يشق غباره ، فتاقت نفسه إلى زيادة التوغل في أسرار العلم

[1] علي عبد الوافي ، المرجع السابق ، ص 43.
[2] محمد الخضر السيد ، المرجع السابق ، 19 .
[3] محمد الخضر السيد ، المرجع نفسه ، ص 19 .
[4] حسين عبد الله بانبيله ، المرجع السابق ، ص 44 .
[5] محمد الخضر السيد، مرجع سابق ، ص 20.

والاستفادة من كتب لا تنالها الأيدي إلا في الحواضر، فراسل صاحب تونس أبا العباس بالعودة إلى تونس التي هي مسقط رأسه ومسحب ذيل شبابه ومجرى جياد أنسه، فما تريث أن طلع عليه جواب السلطان يأذن له بالقدوم ويحثه عليه، فانبرى يطوي الفيافي حتى أوى إلى ظل عنايته، وأنزله منزلة المغتبط بسابغات عزه، ومظاهر كرامته[1] .

ظن ابن خلدون — مذْ حط رحله بني قومه، وسحب رداء العز في وطنه — أن الزمان صافحه بيد المصافاة، وأن الحوادث أصبحت تُهاب أن تغشى ساحته، فإذا تقريب السلطان له واستخلاصه جليسا يضرم في قلوب فريق من الناس نار الغيرة والحسد، فلم يتمالكوا أن باتوا ينصبون له حبائل الوشاية، ويهمسون في أذن السلطان بما يوغر صدره عليه. وزعموا لديه أنه لم يعن بمديحه كما عني بمديح سلاطين المغرب والأندلس؛ استخفافًا بمقامه، وكفرانًا لنعمته . يجب على صاحب الدولة الرشيدة أن يكون على همة أسمى من أن تتشوف إلى سفاسف الأمور، وأطهر من أن ترضى للذين أوتوا الحكمة أن يلقوا بأنفسهم في حضيض الملق والاستعطاف، بل الأمجد لذكره، والأدعى لحمده أن يكون إكرام العلماء في نظره حقا تقتضيه فضيلة العلم بنفسها .انتهز الفرصة وأنشده ساعة إهدائه الكتاب قصيدة أمتعها بذكر سريه وفتوحاته، ونسج في ذيلها الاعتذار عن انتحال الشعر بأسلوب بليغ[2]، ويقول في هذا الاعتذار:

وإليكها مني على خجل بها عذراء دق حليت بكل نفيس

لولا عنايتك التي أوليتني ما كنت أعنى بعدها بطروس [3]

[1] أمال غماري و فتيحة عمرون ، المرجع السابق ، ص 25 .
[2] محمد الخضر السيد ، المرجع السابق ، ص 20.
[3] عبد الرحمان ابن خلدون ، التعريف ، ص 186-187.

5/ الرحلة إلى المشرق وولاته القضاء في مصر :

رحل ابن خلدون من تونس و أقام بالإسكندرية شهرا لتهيئة أسباب الحج، إلا أنه لم يستطع أن يؤدي تلك الفريضة في ذلك العام [1]. انتقل إلى القاهرة، وتصدى للتدريس بالجامع الأزهر[2]، واتصل بالسلطان فأكرم مثواه، وأعاد ليل غربته ووحشته صباح أنس وطمأنينة. وأولاه وظيفة التدريس بمدرسة القمحة[3]، ثم قلَّده خطة قضاء المالكية على وفق النظام المتبع لذلك العهد من إقامة قضاة على عدد المذاهب الأربعة، يلقب كل واحد منهم بقاضي القضاة، فتحرى بهذه الخطة صراطا سويا، ولم يدخر وسعا في العمل على إصلاحها وتجديد ما درس من معاملها، ولم تألف العامة الصرامة في إقامة الحق على وجهه الصريح، ولم يعتد ذوو الجاه و الشوكة من رجال الدولة إغلاق باب الشفاعة والتوسل في وجوههم .

وقف السلطان تجاه تلك الشكوى موقف الحكمة فجمع بني الحزم في السياسة وكرم الهمة، ففصله عن الخطة؛ تهدئة لثائرة الجمهور، واستمر على مواصلته بالرعاية والإنعام وفاءًا بحق العلم، واقتناص المفاخر يزدهي بها وجه تاريخه المجيد [4].

وبعد أن قضى ثلاث سنين عاكفا على التدريس والتحرير خرج لقضاء فريضة الحج سنة 789 ،وقفل راجعا إلى القاهرة، واتصل حني بلغ الينبع بكتاب يحتوي على شعر ونثر راسله به أبو عبد الله بن زمرك وزير السلطان ابن الأحمر صاحب غرناطة، ولجودة نظمه وصفاء ديباجته بحيث يسوغ لنقاد الأدب أن يضعوه بالمكان الأسمى من الشعر، ويقضوا له بالسبق في حلبة البلاغة؛ رأينا من اللائق بهذه المحاضرة أن نحلي جيدها بطوق من فرائده[5].

ومما يقول في أوائل هذه القصيدة:

ويا زاجري الأظعان وهي ضوامر دعوها ترد هيما عطاشا على نجد

ولا تنشقوا الأنفاس منها مع الصبا فإن زفير الشوق من مثلها يعدي

---

[1] هنا لم يذكر لنا ابن خلدون الأسباب التي منعته من أداء فريضة الحج، إلا انه من المحتمل أن ابن خلدون لم يكن ينوي الحج ذلك العام غير انه اظهر هذا السبب من اجل الفرار من الاضطرابات السياسية في بلاد المغرب.

[2] علي عبد الواحد وافي ، عبد الرحمان بن خلدون ، ص 91 .

[3] هذه المدرسة بجوار الجامع العتيق بمصر، كان موضعها يعرف بدار الغزل، وهو قيسارية يباع فيها الغزل، فعدمها السلطان صالح الدين يوسف بن أيوب، وأنشأ موضعها مدرسة للفقهاء المالكية، وكان الشروع فيها للنصف من المحرم سنة ست وستين وخمسمائة، ووقف عليها قيسارية الوراقين وعلوها بمصر، وضيعة بالفيوم تعرف بالحنبوشية ، وهذه المدرسة أجل مدرسة للفقهاء المالكية، ويتحصل لهم من ضيعتهم التي بالفيوم قمح يفرق فيهم فلذلك صارت لا تعرف إلا بالمدرسة القمحية إلى اليوم أنظر : تقي الدين المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيرو ت ط1 ،1418 ه، ج4 ،ص201.

[4] محمد الخضر السيد ، المرجع السابق ، ص 21 .

[5] محمد الخضر السيد ، ص 22.

واسترسل في هذا الطرز البديع والنسيب الساحر حتى تخلص إلى خطاب ابن خلدون بقوله:

إليك _أبا زيد _ شكاة رفعتها و ما أنت من عمرو لدي ولا زيد

بعيشك خبرني ولا زلت مفضلا أعندك من شوق كمثل الذي عندك [1]

و أطرد في هذا النسق المعبر عن الوداد المحض والشوق الطافح ، وبلوغ الشعر في جودته إلى هذا الحد مما ينبه على رفعة منزلة ابن خلدون في نفس الوزير ابن زمرك إذ الشاعر وإن كان مفلقا لا يطيل نفس الشعر ويرتقي في إبداعه إلى هذا الظهر إلا عن داعية تزعج قريحته و تأخذ بمجامع عنايته وليست الداعية في هذا المقام سوى الإعجاب بكمال ابن خلدون ، والحنين إلى حدائق آدابه الزاهرة[2] .

وبعد عودته إلى القاهرة تقلد خطة القضاء مرة ثانية ، قم عزل عنها ، وقد تولاها مرارا ، وبلغت ولايته لها ثم تخليه عنها منذ هبط مصر إلى أن توفى نحو ست مرات .

وكان الملك الناصر فرج يسلك في رعايته والإقبال عليه بوجه البر والإنعام مسلك أبيه الملك الظاهر، واستصحبه في خروجه إلى الشام أيام الفتنة التترية. فكان ابن خلدون ممن وقعوا في الأسر. ثم غشي مجلس تيمور لنك في طائفة من الأعيان والقضاة، ومكنه دهاؤه وبراعته في فن السياسة من افتتاح باب المخاطبة والدخول معه في حديث أصاب مواقع هواه، وأخذ بمجامع لبه، حتى أحرز لديه مكانة الرعاية والإكرام، وحمله الإعجاب بسمو مداركه وكياسة منطقه على اصطفائه لنفسه، والانقلاب به إلى مقر ملكه؛ ليكون شهابًا ثاقبا في سماء دولته، ودرة وضاءة في سلك علمائه.[3].

ولم تطب نفس ابن خلدون لأن يحط في أهواء هذا الطاغية ويتطوح في مجاراته أن يدخل في شيعته ويعمل تحت لوائه، وتلطف في مخادعته باستئذانه في العود إلى مصر؛ ليجمع أمره، ويضم إليه أهله وكتبه، فنفذت الخدعة، وبلغ أمنيته، فعاد إلى القاهرة، ومد بها طنب الإقامة إلى أن أدركه أجله

يمكن أن نلخص عمل ابن خلدون كقاضي قضاة في مصر كالتالي :

المرة الأولى :

[1] عبد الرحمان ابن خلدون ، التعريف ، ص 205 .
[2] محمد الخضر السيد ، مرجع سابق ، ص 23.
[3] محمد الخضر السيد ، المرجع السابق ، ص 23.

عزل السلطان الظاهر برقوق القاضي المالكي ،[1] و عين مكانه ابن خلدون و ذلك عام 786ه/1384م، و يصف ابن خلدون ذلك بقوله:" فلما عزل هذا القاضي المالكي سنة ست وثمانين، اختصني السلطان بهذه الوالية، تأهيلً لمكاني، وتنويهاً بذكري، وشافهته بالتفادي من ذلك، فأبى إلا إمضاءه، وخلع علي بإيوانه ....."[2]

لكن سرعان ما كثر السعي في حقه والإغراء به، " حتى اظلم الجو بينه وبين أهل الدولة "على حد تعبيره، وفقد حضوته وما كان يتمتع به من عطف و مؤازرة[3]، فعزله السلطان من منصب القضاء و رده إلى صاحبه الأول، و ذلك عام 787ه /1385م [4].

المرة الثانية :

بث ابن خلدون منذ عزله الأول عن القضاء سنة 787ه / 1385م مكبا على الاشتغال بالعلم، تدريسا و تأليفا، حتى عينه السلطان مرة ثانية في منصب قاضي قضاة المالكية سنة 801ه/1398م بعد أن كان مقصيا عنه زهاء أربع عشرة عاما. و في عام 802ه/1399م عزل عن منصبه للمرة الثانية و ذلك لسعاية خصومه، فرجع ابن خلدون الاشتغال بتدريس العلم وتأليفه [5].

المرة الثالثة والرابعة والخامسة :

في أواخر سنة 803ه/1401م، استرد ابن خلدون منصب قاضي قضاة المالكية، ثم عزل منه في سنة 804ه/1402م، و لقد تولى هذا المنصب ثالث مرات و في كل مرة يعزل منه نتيجة للحرب الدائرة بينه وبينه خصومه [6]، إلا انه في المرة الثالثة لم يمهله العمر ليعزل، فقد توفي في السادس و العشرين من رمضان سنة 808ه 16 مارس 1406 عن عمر يناهز ستة وسبعين عام من حياة باهرة، حافلة بجليل الحوادث و رائع التفكير و الابتكار. و دفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر و هي يومئذ من مقابر العظماء والعلماء [7].و في هذا يقول صاحب كتاب " **المنهل الصافي** : " ثم أعيد في شعبان سنة ثمان وثمانمائة، فلم تطل مدته ومات وهو قاض فجأة في يوم الأربعاء لأربع باقين من شهر رمضان سنة ثمان وثمانمائة،

---

[1] محبوب الزاوي و علي عبد الرحمان لجدل ، المرجع السابق ، ص

[2] عبد الرحمان ابن خلدون ، التعريف ، ص 204-205.

[3] محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص 73.

[4] محبوب الزاوي و عبد الرحمان لجدل ،المرجع السابق ، ص 33 .

[5] عبد الرحمان ابن خلدون ، التعريف ، ص 275.

[6] و يصل ابن خلدون في تدوين سيرته الذاتية في كتابه " التعريف " حتى عزله للقضاء في المرة الخامسة في ذي القعدة 807ه حين قال:... "ثم أعادوني عاشر شعبان سنة سبع، ثم أدالوا به مني أواخر ذي القعدة من السنة" .أي ما قبل وفاته ببضعة أشهر فقط. انظر ابن خلدون، التعريف، ص 300.

[7] عبد الرحمان بدوي ، مؤلفات ابن خلدون ، المرجع السابق ، ص 7.

ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر، وله من العمر ست وسبعون سنة وخمسة وعشرون يوما "[1].

[1] أبو المحاسن جمال الدين ، المنهل الصافي ، المرجع السابق ، ص 209.

خاتمـــــــــة

خاتمة :

بعد دراستنا لموضوع الحركة العلمية من خلال كتاب رحلة ابن خلدون ، أيقنا أن "ابن خلدون" عبقرية عربية متميزة، فقد كان عالمًا موسوعيًا متعدد المعارف والعلوم، وهو رائد مجدد في كثير من العلوم والفنون، فهو المؤسس الأول لعلم الاجتماع، وإمام ومجدد في علم التاريخ .

كما أنه أحد العلماء الراسخين في علم الحديث، وأحد فقهاء المالكية المعدودين، ومجدد في مجال الدراسات التربوية، وعلم النفس التربوي والتعليمي، كما كان له إسهامات متميزة في التجديد في أسلوب الكتابة العربية .

وقد استخلصنا مجموعة من النتائج تتعلق بشخصيته وحياته و أهم المناصب التي تولاها من خلال رحلاته يمكن حصرها في النقاط التالية :

- نسبه الأصيل فهو ينتسب إلى صحابي جليل " وائل ابن حجر "

- ينتمي إلى أسرة عربية عريقة من يمن حضر موت التي انتقلت إلى الأندلس واستقرت بمدينة اشبيلية لتصبح من الأسرة التي لها نفوذ وسلطة قوية ، حتى عند انتقالهم لتونس حضوا بمكانة عالية هنالك .

- ميول ابن خلدون في نشأته إلى المناصب السياسية وذلك اقتداء بأسلافه فتولى عدة مناصب في مختلف البلدان .

- تعلمه على يد كبار المشايخ بدءا بوالده المعلم الأول له ثم على يد آخرين أمثال إبراهيم الآبلي و الشيخ أبو عبد الله محمد بن العربي الحصايري ... وغيرهم .

- تأليفه لعدة كتب مهمة ككتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر للعلامة عبد الرحمن ابن خلدون يُعَدُّ موسوعةً تاريخيةً. يتكون من سبعة أجزاء والجزء الثامن للفهارس، وهو عبارة عن محاولة إسلامية لفهم التاريخ العالمي ويعتبر من أوائل الكتب التي تهتم بعلم المجتمع .

- قيامه بعدة رحلات ساهمت في تكوينه و ازدياد سعة علمه ليكون من الشخصيات البارزة في عصره .

- تعرضه لعدة مؤامرات بسبب الأنفس الحاقدة لما كانت له من مكانة مرموقة عند كل أمير وسلطان

- توليه العديد من المناصب المرموقة في الأماكن التي ارتحل إليها فقد عمل كقاضي قضاة في مصر ، و توليه الحجابة في بجاية .

الملاحق :

الملحق 01 : عبد الرحمان ابن خلدون .[1]

[1] ساطع الحصري ، المرجع السابق ، ص 647.

الملحق 2 : الدار التـي ولد فيها ابن خلدون .[1]

[1] منير شواكري ، أسس قيام الدولة في المغرب الإسالمي وفق نظرية ابن خلدون، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة تلمسان، الجزائر، 20142013. -ص 168 .

الملحق رقم 03: مخطوط مقدمة ابن خلدون بخط يده.[1]

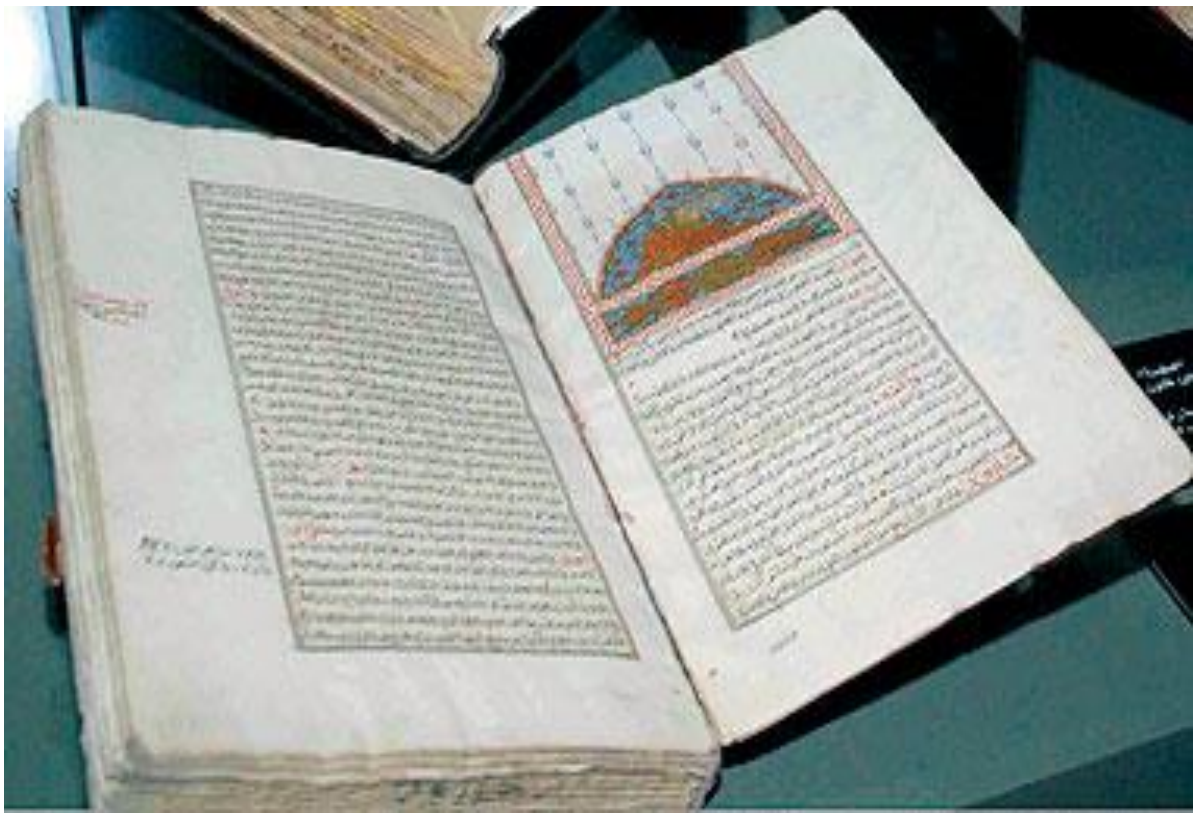

[1] منير شواكري ، المرجع السابق ، ص 166.

الملحق رقم 04 : واجهة كتاب رحلة ابن خلدون .[1]

[1] عبد الرحمان ابن خلدون ، التعريف ، ص 1.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم : سورة القصص ، الآية رقم 7 .

أ/ قائمة المصادر :

1/ ابن خلدون عبد الرحمان ، التعريف برحلة ابن خلدون ، تح محمد بن تاويت الطنجي ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت ، لبنان، 1435ه/2004 .

2/ ابن بطوطة ، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروف برحلة ابن بطوطة ، تح عبد الهادي التازي ، مطبوعات الأكاديمية المغربية ، الرباط ، ج 1، ج4 .

3/ ابن الأحمر أبي الوليد إسماعيل ، روضة النسرين في دولة بني مرين ، تح عبد الوهاب ابن منصور ، الرباط ، ط 2 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1991.

4/ ابن الأحمر أبي الوليد إسماعيل ، أعلام المغرب و الأندلس في القرن الثامن المسمى نثير الجمان ، تح محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1987.

5/ ابن الخطيب لسان الدين أبي عبد الله محمد ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تح محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط2 ، 1973 .

6/ ابن الخطيب لسان الدين أبي عبد الله محمد ، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ، تح أحمد مختار العبادي ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، د ط ، د س .

7/ ابن كثير، البداية والنهاية، دار الفكر، 1986 م، ج 11.

8/ بن خلكان ، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، تح إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1972، ج 5.

9/ أبو المحاسن جمال الدين، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تح محمد أمين، تق سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، د س ، ج3.

10/ أبي العرب ، طبقات علماء إفريقية وتونس ، تح علي الشابي ونعيم الباني ، ط 2 ، الدار التونسية ، 1985.

11/ البلوي خالد بن عيسى ، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق (رحلة البلوي) ، تح الحسن السائح ، نشر صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المغرب والإمارات ، مطبعة فضالة ، المحمدية ، د ط ، د ت .

12/ التلمساني محمد المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت ، لبنان،ج6.

13/ الحموي ياقوت ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1995 ، ج1.

14/ الحميري محمد عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت، لبنان، ط 2 ،1980. الصنهاجي أبو بكر ، أخبار المهدي بن تومرت، تح عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر،1974 .

15/ الزبيدي و الأندلسي ، طبقات النحويين واللغويين ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، 1973.

16 / السلاوي أحمد بن خالد ، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، دار الكتب ، الدار البيضاء ، 1954

17/ الشنتريني ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تح إحسان عباس ، دار الثقافة للطباعة ، بيروت ، 1979.
18/ العمري أبو فضل الله ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1 ،1423 هـ، ج3.
19/ المراكشي بن عذارى ، بيان المغرب في أخبار المغرب ، تح كولان و ليفي بروفنسال ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، مج 1 ، 1971.
20/ المقريزي تقي الدين ، ددر العقود الفريدة في تراجم الأعيان ، تح محمد عثمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1971 ، ج 2 .
21/ المقريزي تقي الدين ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيرو ت ط1 ،1418 ه، ج4.
22/ النميري ابن الحاج ، فيض العباب و إفاضة أقداح الآداب ، تح محمد ابن شقرون ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، 1990.

ب / قائمة المراجع :

1/ أمين أحمد، ظهر الإسلام ، ط 2 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، 1360ه 1946م ، ج 3.
2/ أ ف غوتيه ، ماضي شمال إفريقية ، تر هاشم الحسني ، طرابلس ، ليبيا ، 1970.
3/ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، بيت الأفكار الدولية ، لبنان ، 2004 ، ج1.
4/ الحنبلي ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، ط1 ،1412 هـ، ج 1.
5/ الحضيري زينب محمود ، فلسفة التاريخ عند بن خلدون ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط 2 ، 1985 .
6/ الحصري ساطع ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 3 ، 1967.
7/ الزركلي خير الدين ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، ط 15 ، 2002 ، ج2 ، ج4،ج6.
8 / السامرائي أسامة عبد الحميد حسين ، تاريخ الوزارة في الأندلس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1971.
9/ الساعاتي سامية ، ابن خلدون مبدعا ، قراءة جديدة لفكره ومنهجه في علم الاجتماع ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط 1 ، 2006 .
10 / السيد محمد الخضر ، حياة ابن خلدون ومثل من فلسفته الاجتماعية ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، مصر ، د ط ، 1925.
11/ العبادي أحمد مختار ، صورة من حياة الحرب والجهاد في الأندلس ، منشأ المعرف الإسكندرية ،2000.
12 / العبادي أحمد مختار ، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية ، دار المعرفة الجامعة ، القاهرة ، 1996 .
13 / العسيري أحمد معمور ، موجز التاريخ الإسلامي ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض، السعودية ط1 ،1996 م.
14/ الصعيدي عبد المتعالي ، المجددون في الإسلام من القرن 1 ه إلى 14 ه ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، د ط ، د ت.

15 /الصلابي علي محمد ، دولة الموحدين ، دار البيارق للنشر ، عمان ، د ط ، د ت .
16/ المالكي ابن فرحون:الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح:مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
17/ بن عميرة محمد بن و عميرة لطيفة بشاري:تاريخ بجاية في ظل مختلف الأنظمة السياسية من عهد القرطاجيين إلى عهد الأتراك العثمانيين، دار الفاروق للنشر والتوزيع، ط1، 1436هـ/2015م.
18/ بانبيله حسين عبد الله ، ابن خلدون وتراثه التربوي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1، 1984.
19/ بدوي عبد الرحمان ، مؤلفات ابن خلدون ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، دار المعارف ، القاهرة، 1962.
20/ بن شقرون محمد بن أحمد ، مظاهر الثقافة المغربية ، الرباط ، 1970 .
21/ بوتول غاستون ، ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية، تر عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1995.
22/ بوعزيز يحيى : مدينة وهران عبر التاريخ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط 2009م
23/ تامر الحبيب:هذه تونس، مطبعة الرسالة، د ط، د س .
24/ حسين طه ، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، تر محمد عبد الله عنان، مطبعة الاعتماد. ط1 ،1925.
25/ حسين فردوس نور علي ، ابن خلدون شاعرا ، دار الفكر العربي ، مصر ، د ط ، 2000 .
26/ سراج الدين إسماعيل ، ابن خلدون إنجاز فكري متجدد ، مكتبة الإسكندرية ، الإسكندرية ، مصر ، 2008 .
27 / شريف محمد موسى ، المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة المنورة ، دار الأندلس ، جدة ، 1421ه.
28 / شلبي أحمد ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، مكتبة النهضة المصرية، ط 1 ، ج4 ، 1999.
29/ فروخ عمر ، تاريخ الأدب العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 5، 1985 ، ج 2
30/ فهيم حسين محمد ، أدب الرحلات ، سلسلة عالم المعارف ، الكويت ، 1989.
31/ طمار محمد ، تاريخ الأدب الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1989
32/ عبد الحميد سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي ، المعارف بالإسكندرية ، 1993 ، ج1.
33/ عاصي حسين ، ابن خلدون مؤرخا ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت ، لبنان ، 1991.
34/ عزب خالد ، محمد السيد، مع ابن خلدون في رحلته، تق إسماعيل سراج الدين، مكتبة أخبار اليوم، مصر، د ط، 2006.
35/ علماء الحملة الفرنسية، وصف مصر ، تر: زهير الشايب ومنى زهير الشايب ، دار الشايب للنشر، ط1، 1413هـ-1992م.
36/ عنان محمد عبد الله ، ابن خلدون حياته وتراثه الفكري، مطبعة دار الكتب المصرية.،القاهرة، د ط، د س .

37 / كرو أبو القاسم محمد ، عصر القيروان ، ط 1 ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، تونس ، 1973.
38/ مغربي عبد الغني ، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، تر محمد الشريف بن دالي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ديوان المطبوعات المدرسية، الجزائر، د ط، 1988.
39/ مخلوف محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ
40/ مؤنس حسين ، ابن بطوطة ورحلاته ، دار المعارف ، القاهرة ، 1980،.
41/ مؤنس حسين ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، ط 2 ، 1986 .
42/ وافي علي عبد الواحد ، عبد الرحمان ابن خلدون حياته و أثاره ومظاهر عبقريته ، مكتبة مصر ، 1962.

ج / الرسائل الجامعية :

1/ أبو شنب هاني محمد ، ابن خلدون فقيه ، رسالة تخرج ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، 2013-2012

2/ الزاوي محبوب و لجدل علي عبد الرحمان ، النشاط السياسي والعلمي لابن خلدون في بلاد المغرب ومصر 732ه-808ه/1332م-1406م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الوسيط والحديث ، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، 1438ه-1439ه/ 2017م-2018.

3/ العنزي بندر رفيد ، ابن خلدون ناقدا، رسالة للحصول على شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها، جامعة الشرق الأوسط ، مصر، 2001-2012

4/ بوبكر عائشة و البوعمراني فاطمة الزهراء:مدينة مراكش خلال عصري المرابطين والموحدين القرن 5هـ-11م/6هـ -12م، مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر، تخصص دراسات إفريقية، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2016/2015م.

5/ شارف محمود ، التفكير العلمي الخلدوني، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الفلسفة، جامعة ورقلة، الجزائر، 2015/2016.

6/ شواكري منير ، أسس قيام الدولة في المغرب الإسالمي وفق نظرية ابن خلدون، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة تلمسان، الجزائر ، 2014/2013.

7/ غماري أمال و عمرون فتيحة ، البعد الحضاري في فكر بن خلدون ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر ، كلية الآداب واللغات ، جامعة تلمسان ، الجزائر ، 2012-2013.

8/ يعقوبية بوحفص ، التفكير الأدبي والنقدي عند بن خلدون في ضوء النقد الحديث ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة وهران السانية.

د/ المجلات :

1/ فيروز عثمان صالح، النشاط السياسي و العلمي عند ابن خلدون في شمال إفريقيا، مجلة دراسات دعوية العدد39.

فهرس الموضوعات :

شكر وعرفان
إهداء
قائمة المختصرات
مقدمة .....ب
فصل تمهيدي : الأوضاع العامة ببلاد المغرب في عصر ابن خلدون
1. الحياة السياسية ببلاد المغرب في عصر ابن خلدون 06
2. الحياة الاقتصادية والاجتماعية ببلاد المغرب في عصر ابن خلدون 10
3. الحياة الثقافية والفكرية ببلاد المغرب في عصر ابن خلدون.....13
الفصل الأول : نبذة عن حياة ابن خلدون .
1. نسب عبد الرحمان ابن خلدون 19
2. مولده ونشأته 21
3. شيوخ ابن خلدون 24
4. تلاميذ ابن خلدون 27
5. مؤلفاته 29
الفصل الثاني : رحلات ابن خلدون .
1. الرحلة إلى المغرب 34
2. الرحلة إلى الأندلس 38
3. الرحلة من الأندلس إلى بجاية 41
4. العودة إلى المغرب الأقصى ثم الأندلس 44
5. الرحلة إلى المشرق وتوليه القضاء في مصر 47
خاتمة 51
ملاحق 54
قائمة المصادر والمراجع 59
فهرس الموضوعات 65